أسّسها أ. لويس خليفة (†)
سنة ١٩٩٠

رئيس التحرير
أ. أيّوب شهوان

اسرة التحرير
الأرشمندريت نيقولا أنتيبا
الأباتي بولس تنّوري
أ. أسعد جوهر
أ. موسى الحاج
السيّدة ماري عطاالله خليفة
أ. جورج خوام
الأخت باسمة خوري
أ. نعمة الله الخوري
أ. لويس خوند
الأخت ماري-لويز شهوان
د. منى عبيد
أ. جان عزام
أ. انطوان عوكر
أ. يوسف فخري
أ. بولس الفغالي
أ. انطوان مخائيل
المطران بطرس مراياتي
أ. ريمون الهاشم

في هذا العدد

الافتتاحيّة: يوم الرب (جولة بيبلية سريعة) ——— رئيس التحرير ٢
يوم السبت عند اليهود ——— أ. اميل عقيقي ٧
يوم الجمعة في الإسلام ——— أ. جوزف قزّي ١٥
العيد لدى ربّ الأكوان (أش ٢٥) ——— الخوري بولس الفغالي ٢١
يومُ السبت (تث ٥:١٢-١٥) ——— الأخت ماري-لويز شهوان .. ٢٥
«هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ...» (مز ١١٨:٢٤) ——— الخوري يوسف فخري ٣١
«هذا اليوم يومٌ مقدّسٌ للربّ» (نح ٨:١٠-١١) ——— الخوري بولس الفغالي ٣٥
الحرب في «اليوم المقدّس» لأجل الكرامة والحياة ——— أ. فادي أحمر ٣٩
يسوع لا يحترم شريعة السبت (مت ١٢:٩-١٤) ——— الخوري نعمةالله الخوري ... ٤٣
معجزات يسوع علامات يوم الخلق الجديد ——— الخوري أنطوان مخائيل ٤٥
في أوّل أيّام الأسبوع... القبر الفارغ ——— الأخت باسمة الخوري ٤٩
«وبعد ثمانية أيام... جاء يسوع» (يو ٢٠:٢٦) ——— د. منى عبيد ٥٥
يومُ الربّ (رؤ ١:٩-١٠) ——— ماري عطاالله خليفة ٥٧
يومُ الربّ (يوحنّا بولس الثاني) ——— أ. لويس الخوند ٦١

ثمن العدد
في لبنان : ٥٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٨٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنوي (٤ أعداد)
في لبنان : ٢٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج : ٣٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

العنوان
كليّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس - الكسليك
ص.ب.: ٤٤٦ جونيه - لبنان
فاكس: ٠٩/٦٤٢٣٣٣
هاتف: ٠٩/٦٤٠٦٦٤ المقسّم ١١٥

الافتتاحيّة

يوم الرب

جولة بيبلية سريعة

مقدمة

يضيق بنا الوقت إن أردنا أن نستعرض كل ما يضج به الكتاب المقدس من تأكيدات ومعلومات تتعلق بـ«يوم الرب» وبمختلف أبعاده. لذلك سنعمد في ما يلي إلى إدراج معظم المواضيع، ولو بالإيجاز.

أ - في العهد القديم

«يوم الرب» هو يوم افتقاده، حيث يتدخل ليعاقب الأشرار، ولينجي ويعظم البقية الأمينة التي تعبده، ويبسط في الوقت ذاته حكمه. الدينونة والخلاص هما معاً مظهران سائدان بارزان بشكل جليّ. «يوم الرب» هو موضوع ذات مدلول كبير في الأسكاتولوجيا البيبلية، خاصة في أسفار العهد القديم النبويّة. إنه يوم حلولِ عقابِ الله على إسرائيل وعلى يهوذا، كما على الأمم، ولكنه أيضاً يوم خلاص.

- عبارة «يوم الرب»

بالرغم من أننا لا نجد التعبير بحد ذاته سوى ست عشرة مرة فقط في العهد القديم، فإنّ هناك عباراتٍ زمنية واضحة المدلول أيضاً، مثلاً : «في ذاك اليوم» (صف ١:٩-١٠؛ عا ٨:٩)؛ «يوم ذبيحة الرب» (صف ١:٨)؛ «يوم غضب الرب» (حز٧:١٩؛ رج إش ٢:١٢)، الخ. يعتبر بعض علماء الكتاب المقدس موضوع «يوم الرب» الموضوع المركزي لمجمل رسالة الأنبياء؛ فسفرا يوئيل وصفنيا، مثلاً، هما مكرّسان كلّيًّا للإعلان عن «يوم الرب» وعن الأحداث التي تواكبه.

١) يوم الرب عند عاموس

نُدرج النبي عاموس منفرداً عن باقي الأنبياء وقبلهم، إنطلاقاً من أن عا ٥:١٨-٢٠ قد يتضمّن أقدم ذكر لـ«يوم الرب»، الذي يعلن من خلاله عن العقاب الذي سينزل بإسرائيل. هذا يعني بأن الله، وعلى لسان النبي، يقلب توقعات الشعب في ما يتعلق بما سيحصل؛ فهذا الأخير، وهو شعب العهد، وبالتالي شعب الأمانة، يتوقع أن يتدخل الله لصالحه كي يهزم أعداءه، لكنه يتبيّن في الواقع أن إلهه، على العكس من ذلك، ينحو باتجاه إدانته. نقرأ في عا ٥:١٨-٢٠ ما يلي :

«ويل للتوّاقين إلى يوم الرب!

ماذا عسى يكون لكم ذاك اليوم؟

يكون ظلمةً لا نوراً!»

واضح من هذه الآيات أن انتظار «يوم الرب» كان شائعاً في القرن الثامن ق. م.، عندما كان عاموس يؤدّي رسالته النبوية، وأنّه كان، بشكل عام، انتظاراً لمناسبة سارة.

تلي هذه الآيةَ أُخرى يعلن الرب فيها عن أنه غير راض عن عبادات شعبه :

«لقد أبغضت أعيادكم ونبذتها،

ولم تطب لي احتفالاتكم» (عا ٥:٢١).

رأى عاموس أن إسرائيل ليس خاضعاً لحكم الله، ومع ذلك فإن إسرائيل يريد أن يلقى الدعم من إلهه.

٢) يوم الرب والأنبياء

بعد عاموس، نجد أيضاً العديد من نصوص الأنبياء التي تتكلم على «يوم الرب».

– «يوم الرب» يوم دينونة عامة

استناداً إلى إش ٢:١٢، «إنه يوم رب القوات على كل متكبر ومتعال، وعلى كل مرتفع فينحط».

صفنيا، الذي تنبأ في أواخر القرن السابع ق. م.، يستعمل موضوع «يوم الرب» بتوسع ليلفظ حكماً على يهوذا وعلى الأمم الأخرى في آنٍ معاً (صف ١).

– «يوم الرب» يوم خراب

يربط حز ٧:١٠ «يومَ الرب» بخراب أورشليم على يد البابليين، ولكن يمكن أن يشير «يوم الرب» إلى يوم خراب أمم أخرى : إش ١٣:٦ (بابل)؛ إش ٣٤:٨ (أدوم)؛ إر ٤٦:١٠ (مصر)؛ حز ٣٠:٣ (مصر)؛ عو ١٥ (أدوم)؛ إنه إذاً يوم دينونة لكل الأمم أيضاً.

في يوء ١–٢، يأخذ يوم الرب شكل ضربة جراد.

– الدينونة هي نتيجة

استناداً إلى الأنبياء، الدينونة الإلهية ليست اعتباطية، بل هي نتيجة حتمية للسلوك والأفعال السيّئة؛ فحوافزها كثيرة، منها : عبادة الأصنام (إش ٢:٨ و٢٠؛ صف ١:٤–٦)، والكبرياء والصفاقة (إش ٢:١١ و١٧)، وفقدان العدالة الاجتماعية (عا ٢:٦–٧؛ صف ٣:١–٣). إنها دينونة تطهيرية تزيل لطخة الشر من وسط أمّة الله المختارة : هي لا تتساهل، ولا مفرّ منها (عا ٥:١٨–١٩؛ صف ١:١٢)، وهي تطال بنوع خاص قادة الأمة (إش ٣:١–٣؛ صف ٣:٢–٣).

وبالرغم من أن العقاب سيكون بشكل هزيمة عسكرية (عا ٢:١٣–١٦؛ صف ١:٦)، فمن الواضح أن الرب هو القوة المحرّكة التي خلف ذلك (لاحظ الأفعال بصيغة المتكلم في عا ٨:٩–١١؛ صف ١:٨ و٩؛ رج يوء ٢:١١).

– شمولية العقاب

ليس العقاب محصوراً بشعب العهد، بل يشمل بعض الأمم المجاورة (عا ١:٣–١٥؛ صف ٢:٤–١٥؛ رج أيضاً يوء ٣:١١–١٢ [مت ٤:١١–١٢] التي ستحصد نتائج أعمالها المنكرة (عا ١:١٣؛ صف ٢:٨ و١٠). يرسم العديد من الأنبياء ذلك على أنه ذات مقاييس واسعة (إش ١٣:٩؛ صف ٣:٨؛ زك ١٤:١–٣ و٩). استناداً إلى صفنيا، ليس هذا سوى نقيض الخلق، وسيكون خراباً أكثر اتساعاً من ذاك الذي أحدثه الطوفان.

– حدث مستقبلي مرتبط بالماضي

هذا التوقّع النبوي لحدثٍ كوني نهائي، هو موضوع في نطاق لا يتوافق مع واقع آخر، ألا وهو أن الكتّاب البيبليين يطبقون أحياناً عبارة «يوم الرب» على أحداث سالفة، كخراب أورشليم (مرا ٢:٢٢)، وهزيمة المصريين (إر ٤٦:١٠). في الفكر البيبلي، تمثّل أحداث الماضي هذه المستقبلَ وتميل إلى الاندماج فيه، مؤذنةً سلفاً بالزمن الذي فيه سيُدانُ البشر على كل شرّهم، ويُفضَح تكبرهم وصفاقتهم، و يقاوَم كلُّ سلطان يقف في وجه الله، معِدًّا الطريقَ لتأسيس مُلك الله الخاص (إش ٢:٦–٢٢).

دخول تابوت العهد إلى الهيكل، وتقديم الذبائح في هذا الأخير.
عند الاحتفال الديني بالعام الشمسي الجديد، كان تابوت العهد يُحمَل عبر أبواب الهيكل عند انبثاق الفجر. كان الموسيقيون العازفون يسيرون خلف التابوت، ينقرون الأوتار وينفخون في الأبواق، يتبعهم الملك، والقواد والأشراف. إلى اليسار، كانت هناك الآنية الطقسية الضخمة التي كانت تسمى "بحر البرونز"، وعلى اليمين، مذبح كبير (هل استوحى أش من هذا المشهد رؤياه "للسيد الجالس على العرش العالي والمرتفع"؟ (رج أش ٦:١)

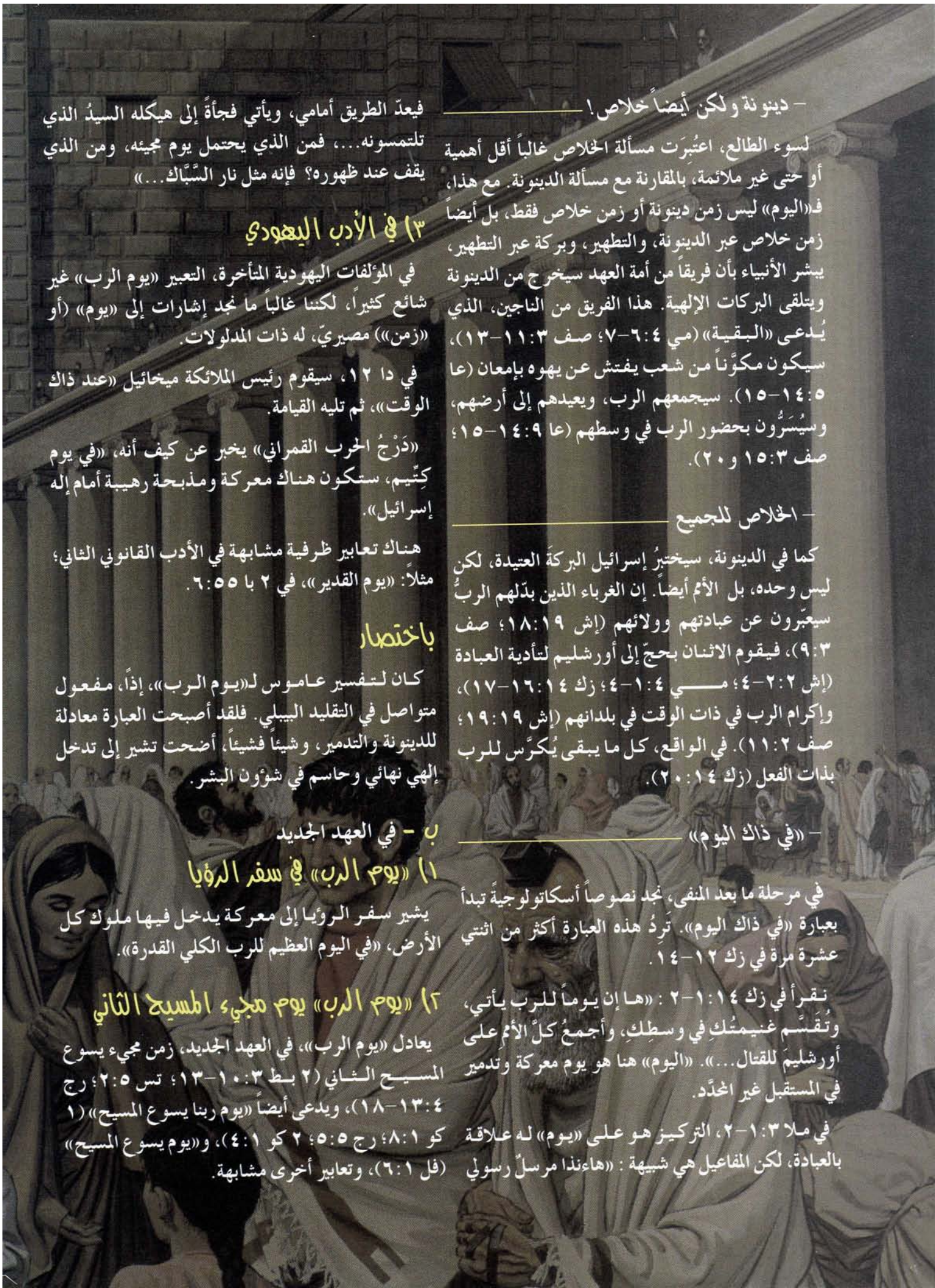

– دينونة ولكن أيضاً خلاص!

لسوء الطالع، اعتُبِرَت مسألة الخلاص غالباً أقل أهمية أو حتى غير ملائمة، بالمقارنة مع مسألة الدينونة. مع هذا، فـ«اليوم» ليس زمن دينونة أو زمن خلاص فقط، بل أيضاً زمن خلاص عبر الدينونة، والتطهير، وبركة عبر التطهير، يبشر الأنبياء بأن فريقاً من أمة العهد سيخرج من الدينونة ويتلقى البركات الإلهية. هذا الفريق من الناجين، الذي يُدعى «البقية» (مي ٤:٦-٧؛ صف ٣:١١-١٣)، سيكون مكوَّناً من شعب يفتش عن يهوه بإمعان (عا ٥:١٤-١٥). سيجمعهم الرب، ويعيدهم إلى أرضهم، وسيُسَرُّون بحضور الرب في وسطهم (عا ٩:١٤-١٥؛ صف ٣:١٥ و٢٠).

– الخلاص للجميع

كما في الدينونة، سيختبرُ إسرائيل البركةَ العتيدة، لكن ليس وحده، بل الأمم أيضاً. إن الغرباء الذين بدّلهم الربُّ سيعبّرون عن عبادتهم وولائهم (إش ١٩:١٨؛ صف ٣:٩)، فيقوم الاثنان بحجّ إلى أورشليم لتأدية العبادة (إش ٢:٢-٤؛ مي ٤:١-٤؛ زك ١٤:١٦-١٧)، وإكرام الرب في ذات الوقت في بلدانهم (إش ١٩:١٩؛ صف ٢:١١). في الواقع، كل ما يبقى يُكرَّس للرب بذات الفعل (زك ١٤:٢٠).

– «في ذاك اليوم»

في مرحلة ما بعد المنفى، نجد نصوصاً أسكاتولوجيةً تبدأ بعبارة «في ذاك اليوم». تَرِدُ هذه العبارة أكثر من اثنتي عشرة مرة في زك ١٢-١٤.

نقرأ في زك ١٤:١-٢: «ها إن يوماً للرب يأتي، وتُقَسَّم غنيمتُكِ في وسطِكِ، وأجمعُ كلَّ الأمم على أورشليمَ للقتال...». «اليوم» هنا هو يوم معركة وتدمير في المستقبل غير المحدَّد.

في ملا ٣:١-٢، التركيز هو على «يوم» له علاقة بالعبادة، لكن المفاعيل هي شبيهة: «هاءنذا مرسلٌ رسولي فيعدّ الطريق أمامي، ويأتي فجأةً إلى هيكله السيدُ الذي تلتمسونه...، فمن الذي يحتمل يوم مجيئه، ومن الذي يقف عند ظهوره؟ فإنه مثل نار السَّبَّاك...»

٣) في الأدب اليهودي

في المؤلفات اليهودية المتأخرة، التعبير «يوم الرب» غير شائع كثيراً، لكننا غالباً ما نجد إشارات إلى «يوم» (أو «زمن») مصيريّ، له ذات المدلولات.

في دا ١٢، سيقوم رئيس الملائكة ميخائيل «عند ذاك الوقت»، ثم تليه القيامة.

«دَرْجُ الحرب القمراني» يخبر عن كيف أنه، «في يوم كِتِّيم، ستكون هناك معركة ومذبحة رهيبة أمام إله إسرائيل».

هناك تعابير ظرفية مشابهة في الأدب القانوني الثاني؛ مثلاً: «يوم القدير»، في ٢ با ٦:٥٥.

باختصار

كان لتفسير عاموس لـ«يوم الرب»، إذاً، مفعول متواصل في التقليد البيبلي. فلقد أصبحت العبارة معادلة للدينونة والتدمير، وشيئاً فشيئاً، أضحت تشير إلى تدخل إلهي نهائي وحاسم في شؤون البشر.

ب – في العهد الجديد

١) «يوم الرب» في سفر الرؤيا

يشير سفر الرؤيا إلى معركة يدخل فيها ملوك كل الأرض، «في اليوم العظيم للرب الكلي القدرة».

٢) «يوم الرب» يوم مجيء المسيح الثاني

يعادل «يوم الرب»، في العهد الجديد، زمن مجيء يسوع المسيح الثاني (٢ بط ٣:١٠-١٣؛ تس ٥:٢؛ رج ٤:١٣-١٨)، ويدعى أيضاً «يوم ربنا يسوع المسيح» (١ كو ١:٨؛ رج ٥:٥؛ ٢ كو ١:٤)، و«يوم يسوع المسيح» (فل ١:٦)، وتعابير أخرى مشابهة.

٣) يوم الرب في رسالة بطرس الثانية

لكن المقطع التقليدي المتعلق بـ«يوم الرب»، هو ٢ بط ٣:١-١٣. يحذّر رأس الرسل من أن «قوماً مستهزئين كل الاستهزاء، تقودهم أهواؤهم، فيقولون : أين الوعد بمجيئه؟ لكن يوماً واحداً عند الرب هو كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد». والتأخر الظاهر في المجيء هو فقط لإفساح المجال «للتوبة» (آ ٩)، لكن «يوم الرب سيأتي كاللص، وعندها تزول السماوات في ذاك اليوم بدويٍّ قاصف، وتنحلّ العناصر مضطرمةً، وتُحاكم الأرض وما فيها من أعمال» (آ ١٠). «يوم الرب» هنا هو نهاية العالم، ولكن ستتبعه «سماوات جديدة وأرض جديدة، يقيم فيها البر» (آ ١٣).

٤) يوم الرب وبولس

يعلّم بولسَ التسالونيكيين بألاّ يقلقوا بشأن الأوقات والأزمنة، فيقول : «لأنكم أنتم أنفسكم تعرفون جيداً أن يوم الرب سيأتي كاللص ليلا» (١ تس ٥:٢). وفي ٢ تس ٢:٢، يسأل المؤمنين ما يلي : «لا تكونوا سريعي التزعزع في رشدكم ، وسريعي الفزع من نبوءةٍ أو قول أو رسالة يُزعَم أنه منّا، تقول إن يوم الرب قد حان» (أنظر التحذير من علامات يوم ابن الإنسان الكاذبة، في لو ١٧:٢٤). بالإضافة إلى ذلك، فإنّ بولس يتكلم مرات عدة على موضوع يوم الرب هذا، أو يوم ربنا يسوع المسيح (١ كو ١:٨؛ ٥:٥؛ ٢ كو ١:١٤)، أو يوم المسيح (فل ١:٦ و١٠؛ ٢:١٦)، كيوم الدينونة الأخير.

٥) يوم الرب قريب!

بالنسبة إلى توقيت «اليوم»، وبالرغم من أن بعض الأحداث ينبغي أن ترشح أولاً (٢ تس ٢:١-٣؛ رج ملا ٤:٥ [٣:٢٣]، فإنّ الرسول بولس يشكل صدى لأنبياء العهد القديم بإعلانه بأن «يوم الرب» قريب (روم ١٣:١١-١٢؛ رج إش ١٣:٦؛ يوء ١:١٥؛ صف ١:٧-١٤).

٦) زمن تأدية الحساب

لكون يوم «الرب» يوصف بأنه زمن تأدية حساب شاملة، عندما تُعلَن الدينونة الأخيرة، والجزاء الأخير يُسلَّم، فإنه يتضمن ذات السلسلة الأساسية من الأحداث، كما في نظرية العهد القديم. هذا اليوم هو زمن الانتقام الأخير للبقية الأمينة لله، والهزيمة الكاملة للأشرار.

خاتمة

في نهاية هذه الجولة البيبلية السريعة، من العهد القديم وحتى العهد الجديد، نود أن نؤكد بأن توقّع «يوم الرب» العظيم الرهيب قد ألقى بظلاله على التاريخ المسيحي، وأثّر بوضوح على الفكر اللاهوتي، كما أيضاً على الليتورجيا والفن، الخ.

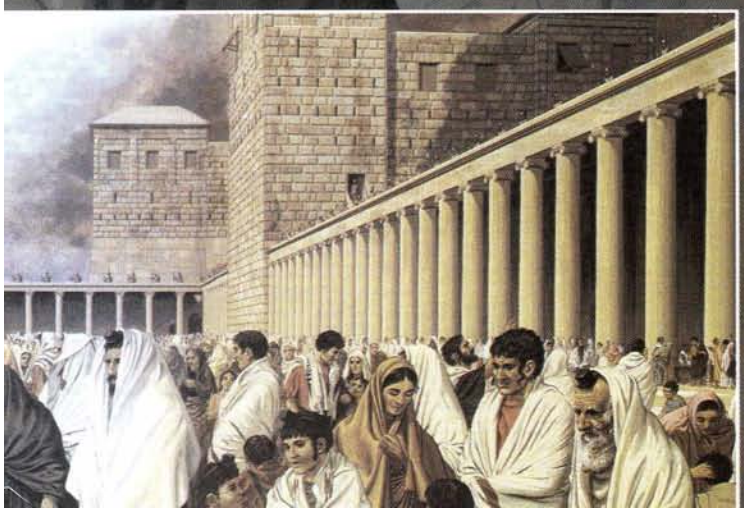

عجقة العيد سببها التئام الجماعة في هيكل أورشليم لتفرح وتبتهج بالرب

يوم السبت عند اليهود

أ. اميل عقيقي

المقدمة

تدعونا الكنيسة الكاثوليكيّة، منذ المجمع الفاتيكاني الثاني (١٩٦٠-١٩٦٥)، ومن خلال «تصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحيّة»، الى التعرّف أكثر فأكثر على مختلف الديانات مع احترام «ما هو حقّ ومقدّس» فيها[١].

ففي معرض الكلام عن الديانة اليهوديّة، في الفقرة الرابعة من التصريح المذكور، ورد ما يلي: «وبما أنّ للمسيحيين ولليهود تراثا روحيّا مشتركا وساميا، يريد هذا المجمع المقدّس أن يوصي بالمعرفة والاعتبار المتبادلين وأن يعزّزهما بين الاثنين، ويحصل ذلك خصوصا بالدروس الكتابيّة واللاهوتيّة وبالحوار الأخوي»[٢]. من هنا أهميّة الاطلاع على ركائز الديانة اليهوديّة، ليس فقط في سبيل المعرفة المطلقة، بل في سبيل معرفة موجّهة نحو اكتشاف ما يعتبره المجمع الفاتيكاني الثاني «تراثا روحيا مشتركا» مع المسيحيّة الباحثة عن جذورها. فالمجمع المقدّس، «اذ يتقصّى سرّ الكنيسة، يذكر الرباط الذي يربط روحيّا شعب العهد الجديد بذريّة ابراهيم»[٣].

سيتركّز بحثنا في هذا المقال على احدى الركائز الأساسيّة للديانة اليهوديّة والتي كانت عبر قرون طويلة، ولا تزال، ميزة الشعب اليهودي في الشتات وعلى أرض اسرائيل: يوم السبت مفهوماً وممارسة.

من الممكن دراسة هذا الموضوع من خلال مسارين اثنين: الأوّل، من مسار الكتاب المقدّس، او التوراة الكتابيّة وهي المرجع الأساسي والمنطلق. والثاني، وهو مسار التقليد اليهودي، او التوراة الشفهيّة وهي الشرح والتفسير والاجتهاد. الاّ أنّنا سنسعى في المسار الثاني دون العروض عن الأوّل متى دعت الحاجة، فتكون الانطلاقة توراة-كتابيّة من حيث أنّ حفظ يوم السبت هو الوصيّة الرابعة من بين الوصايا العشر الواردة في كل من سفري الخروج وتثنية الاشتراع، وبالمقابل ستكون المعالجة توراة- شفهيّة من حيث أنّ مفهوم هذا اليوم وسبل ممارسة شعائره هي من خصائص التقليد الشفهي الذي تناقل وتراكم عبر الأجيال حتى أيامنا هذه[٤].

١) أهميّة يوم السبت في الديانة اليهوديّة

يتّفق فقهاء اليهود على اعتبار يوم السبت ركناً من الاركان الدينيّة الأساسيّة لليهوديّة، لما له من تأثيرعلى حياة الفرد والجماعة بفضل الغنى الروحي الذي يحمله في رموزه

١- فقرة ١-٣.
٢- المرجع نفسه، فقرة ٤.
٣- المرجع نفسه، فقرة ٤.
٤- تعتبر المِشْنَاه أنّ أحكام يوم السبت الواردة في التوراة الكتابيّة قليلة «وبحجم سماكة شعرة»، بينما في التوراة الشفهيّة فقد أصبحت «بارتفاع جبال»، حج ١:٨.

وممارسته. تأتي هذه الأهميّة على خلفيّة توراة – كتابيّة. ففي سفر الخروج، وفي سياق تعداد الوصايا العشر، نقرأ في الوصيّة الرابعة ما أوصى به الرب اسرائيل في البريّة قائلا:

«أذكر يوم السبت وكرّسه لي. في ستة أيام تعمل وتنجز جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب الهك. لا تقم فيه بعمل ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وجاريتك وبهيمتك ونزيلك، لأنّ الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وكرّسه له» (٢٠: ٨–١١).

تُعتبر الوصايا العشر اختصارا لركائز الشريعة اليهوديّة. فيها المبادىء اللاهوتيّة والسلوكيّة الرئيسة. وما ذكر يوم السبت ترتيبا في الوصيّة الرابعة، بعد وصايا ثلاث تأسيسيّة توصي بوحدانيّة الله، وبنبذ الأصنام، وباحترام اسم الرب، سوى دليل على أهميّته ورفعة شأنه بين سائر المعتقدات والممارسات الدينيّة اليهوديّة[٥] ودليل آخر على أهميّته أنّ الله اختار هذا اليوم ليكون عهدا أبديا بينه وبين بني اسرائيل[٦]، لذلك، **«كل من عمل فيه عملا يقتل قتلاً...»** (خر ٣٥: ٢).

هذه الهالة الكتابيّة التي حتّمت أهميّة هذا اليوم من بين سائر الايام، جعلت اليهود، عبر تاريخهم، يأخذونه على محمل الجدّ ويحيطونه بطابع احتفالي رصين يليق بأبعاد لاهوتيّة وروحيّة يحملها الى الذين يمارسون شعائره، بحسب توصيات الشريعة. أصبح علامة تفرّق بين اليهود والأمم، وبين اليهود فيما بينهم حيث أنّ اليهود باتوا بفعل يوم السبت قسمين: الأوّل، الذين يحفظون السبت، والثاني، الذين لا يحفظونه[٧]؛ للذين يحفظونه هو «ركن الايمان» (يسود هاإموناه)[٨] بالله الخالق. هو «الملكة»[٩] التي تجعل من كل يهودي «ملكاً» ولو ليوم واحد[١٠]، و «رمزاً لحريّة الانسان وكرامته»[١١]، هو «الخطّيبة» و«الحبيبة»[١٢] التي يتلهف كل يهودي لملاقاتها، هو «اليوم الذي» فيه مذاق الأبديّة» حيث سيكون «يوم فيه تصبح كل الأيام سبتاً». وأخيرا يعتبر الحكماء أنّ هذا اليوم هو «هدية ثمينة» نالها اسرائيل من الله بواسطة موسى: **«قال القدوس– مبارك هو– لموسى: يا موسى، في خزينتي هديّة ثمينة، وسبت اسمها، وانا أريد أن أقدّمها لاسرائيل، فاذهب وأعلمهم بها»**[١٣]. فكان ان **«حفظ اسرائيل يوم السبت وقدّسه، يكون حفظ وصايا التوراة بأكملها»**[١٤].

٢) أبعاد يوم السبت اللاهوتيّة والروحيّة

«قال رابي العازار نقلا عن رابي يوسي: من أجل الذوّاقة بارك (الله يوم السبت) بالأطايب.

أولم معلمنا (رابي يهودا هالنّاسي) لأنطونينوس في يوم سبت، فقدّم له طعاما باردا، أكل منه فاستلذّه. عاد فأولم له ثانية في يوم من أيام الأسبوع، وقدّم له طعاما ساخنا. قال له: لذّ لي ذلك الطعام أكثر من هذا، قال له: تابل واحد ينقصه. قال له: أو ينقص من مخازن الملك شيئا! – ما ينقص هو السبت، أعندك سبت![١٥]**»**.

نتبيّن من خلال هذا النص المنزلة الخاصة التي ليوم السبت، وقد باركه الله وزيّنه بنعم روحيّة تعطي الملذّات الماديّة التي ينعم بها اليهودي، في هذا اليوم، طعما خاصا ومميّزا. الطعام البارد الذي قدّمه رابي يهودا هالنّاسي الى ضيفه قد يبدو نقصا، ولكنّ سببه كمالا، وهو حفظ وصيّة تمنع اشعال النار يوم السبت (خر ٣٥: ٣)، وهذه الأمانة تعوّض عن النقص وتخلق مناخا روحيا ونكهة

٥– KAPLAN A., *Le Chabbat un avant-goût d'éternité*, éd. EMOUNAH, Israël, 1974, p. 14.

٦– راجع خر ٣١:١٧.

٧– *Le Chabbat un avant-goût...*, p. 12-13.

٨– GRUNFELD I., *Le Chabbat, pour le comprendre et pour l'observer*, C.L.K.H., Paris, 1993, p. 3.

٩– تلمود بابلي، شبّت ١١٩أ.

١٠– *Le Chabbat un avant-goût...*, p. 20.

١١– GUGENHEIM E., *Le Judaïsme dans la vie quotidienne*, ALBIN Michel, Paris, 1992, p. 78.

١٢– للحكماء شرح خاص لما ورد في نشيد الأناشيد (٥:١): «سوداء ولكنّي جميلة يا بنات أورشليم». «سوداء» هي ستّة أيّام الأسبوع و«جميلة» هو السبت. راجع *Le judaïsme dans la vie quotidienne*, p. 81.

١٣– كتاب الهغاداه، شبّت، رقم ١، ص ٣٧٩.

١٤– المرجع نفسه، رقم ٦–٧، ص ٣٩٠–٣٩١.

١٥– STERN M. (traducteur), *Midrach Rabbah sur Genèse*, tome 1, p. 23-25.

وممارسته. تأتي هذه الأهميّة على خلفيّة توراة – كتابيّة. ففي سفر الخروج، وفي سياق تعداد الوصايا العشر، نقرأ في الوصيّة الرابعة ما أوصى به الرب اسرائيل في البريّة قائلا:

«أذكر يوم السبت وكرّسه لي. في ستة أيام تعمل وتنجز جميع أعمالك، واليوم السابع سبت للرب الهك. لا تقم فيه بعمل ما، أنت وابنك وابنتك وعبدك وجاريتك وبهيمتك ونزيلك، لأنّ الرب في ستة أيام خلق السماوات والأرض والبحر وجميع ما فيها، وفي اليوم السابع استراح. ولذلك بارك الرب يوم السبت وكرّسه له» (٢٠: ٨–١١).

تُعتبر الوصايا العشر اختصارا لركائز الشريعة اليهوديّة. فيها المبادىء اللاهوتيّة والسلوكيّة الرئيسة. وما ذكر يوم السبت ترتيبا في الوصيّة الرابعة، بعد وصايا ثلاث تأسيسيّة توصي بوحدانيّة الله، وبنبذ الأصنام، وباحترام اسم الرب، سوى دليل على أهميّته ورفعة شأنه بين سائر المعتقدات والممارسات الدينيّة اليهوديّة[٥] ودليل آخر على أهميّته أنّ الله اختار هذا اليوم ليكون عهدا أبديا بينه وبين بني اسرائيل[٦]، لذلك، **«كل من عمل فيه عملا يقتل قتلاً...»** (خر ٣٥: ٢).

هذه الهالة الكتابيّة التي حتّمت أهميّة هذا اليوم من بين سائر الايام، جعلت اليهود، عبر تاريخهم، يأخذونه على محمل الجدّ ويحيطونه بطابع احتفالي رصين يليق بأبعاد لاهوتيّة وروحيّة يحملها الى الذين يمارسون شعائره، بحسب توصيات الشريعة. أصبح علامة تفرّق بين اليهود والأمم، وبين اليهود فيما بينهم حيث أنّ اليهود باتوا بفعل يوم السبت قسمين: الأوّل، الذين يحفظون السبت، والثاني، الذين لا يحفظونه[٧]؛ للذين يحفظونه هو «ركن الايمان» (يسود هاإموناه)[٨] بالله الخالق. هو «الملكة»[٩] التي تجعل من كل يهودي «ملكاً» ولو ليوم واحد[١٠]، و «رمزاً لحريّة الانسان وكرامته»[١١]، هو «الخطّيبة» و«الحبيبة»[١٢] التي يتلهف كل يهودي لملاقاتها، هو «اليوم الذي» فيه مذاق الأبديّة» حيث سيكون «يوم فيه تصبح كل الأيام سبتاً». وأخيرا يعتبر الحكماء أنّ هذا اليوم هو «هدية ثمينة» نالها اسرائيل من الله بواسطة موسى: **«قال القدوس– مبارك هو– لموسى: يا موسى، في خزينتي هديّة ثمينة، وسبت اسمها، وانا أريد أن أقدّمها لاسرائيل، فاذهب وأعلمهم بها»**[١٣]. فكان ان **«حفظ اسرائيل يوم السبت وقدّسه، يكون حفظ وصايا التوراة بأكملها»**[١٤].

٢) أبعاد يوم السبت اللاهوتيّة والروحيّة

«قال رابي العازار نقلا عن رابي يوسي: من أجل الذوّاقة بارك (الله يوم السبت) بالأطايب.

أولم معلمنا (رابي يهودا هالنّاسي) لأنطونينوس في يوم سبت، فقدّم له طعاما باردا، أكل منه فاستلذّه. عاد فأولم له ثانية في يوم من أيام الأسبوع، وقدّم له طعاما ساخنا. قال له: لذّ لي ذلك الطعام أكثر من هذا، قال له: تابل واحد ينقصه. قال له: أو ينقص من مخازن الملك شيئا! – ما ينقص هو السبت، أعندك سبت![١٥]**»**.

نتبيّن من خلال هذا النص المنزلة الخاصة التي ليوم السبت، وقد باركه الله وزيّنه بنعم روحيّة تعطي الملذّات الماديّة التي ينعم بها اليهودي، في هذا اليوم، طعما خاصا ومميّزا. الطعام البارد الذي قدّمه رابي يهودا هالنّاسي الى ضيفه قد يبدو نقصا، ولكنّ سببه كمالا، وهو حفظ وصيّة تمنع اشعال النار يوم السبت (خر ٣٥: ٣)، وهذه الأمانة تعوّض عن النقص وتخلق مناخا روحيا ونكهة

٥– KAPLAN A., *Le Chabbat un avant-goût d'éternité*, éd. EMOUNAH, Israël, 1974, p. 14.

٦– راجع خر ٣١:١٧.

٧– *Le Chabbat un avant-goût...*, p. 12-13.

٨– GRUNFELD I., *Le Chabbat, pour le comprendre et pour l'observer*, C.L.K.H., Paris, 1993, p. 3.

٩– تلمود بابلي، شبّت ١١٩أ.

١٠– *Le Chabbat un avant-goût...*, p. 20.

١١– GUGENHEIM E., *Le Judaïsme dans la vie quotidienne*, ALBIN Michel, Paris, 1992, p. 78.

١٢– للحكماء شرح خاص لما ورد في نشيد الأناشيد (١:٥): «سوداء ولكنّي جميلة يا بنات أورشليم». «سوداء» هي ستّة أيّام الأسبوع و«جميلة» هو السبت. راجع *Le judaïsme dans la vie quotidienne*, p. 81.

١٣– كتاب الهغاداه، شبّت، رقم ١، ص ٣٧٩.

١٤– المرجع نفسه، رقم ٦–٧، ص ٣٩٠–٣٩١.

١٥– STERN M. (traducteur), *Midrach Rabbah sur Genèse*, tome 1, p. 23-25.

خاصة تميّز يوم السبت عن سائر ايام الأسبوع.

يحتلّ يوم السبت، في التوراة الكتابيّة، منزلة خاصة، لقيمة هي في ذاته، أرادها الله له، كما أراد لبني اسرائيل أن يحفظوه بأمانة تامة حتى يتذوقوا طعم ثماره الروحيّة من خلال طعم الأطعمة اللذيذة. من هنا نرى أنّ لهذا اليوم بعدين: بعد روحي، تكتسب فيه النفس لذّة خاصة[١٦] من خلال أعمال العبادة والتأمّل ودراسة التوراة، واخر مادي، ينعم فيه الجسد بلذيذ الأطعمة وجديد الملبس[١٧].

والغنى الروحي مردّه الى بعد لاهوتي يستحضره من يحفظ هذا اليوم بايمان وأمانة، فيعود بملء كيانه الى تذكّر قدرة الله الخالق والمخلص معا: خالقاً الكون بمن وبما فيه، في ستة أيام، مكرّسا اليوم السابع لراحته؛ ومخلّصاً شعبه، الشعب العبراني، من عبوديّة مصر، «ليرتاح» في أرض الميعاد. هذان البعدان يختصرهما التقليد اليهودي بفعلَي «أذكر»، في اطار الخلق (خر ٢٠: ٨)، و «احفظ»، في اطار الخروج من مصر (تث ٥: ١٢). الاحتفال بيوم السبت، بحسب مقتضيات الشريعة، هو الاطار الذي يعطي شكلا ملموسا للحقيقة اللاهوتيّة والروحيّة المنطوية فيه، تماما كما المادة للروح. يقول موسى بن ميمون في هذا الصدد: «**لا بدّ وأنّك تعلم، من خلال ما قلت، أنّ الأفكار لا تثبت الاّ اذا رافقتها الاعمال لتحدّدها وتعمّمها وتؤكّد على استمراريّتها بين الناس. لذلك فرض علينا اكرام هذا اليوم (السبت) لكيما يثبت ويعمّم مبدأ خلق العالم بفعل الراحة التي يستسلم لها، في اليوم عينه، جميع الناس**»[١٨]. يبان أنّ السبت سبتان: **سبت الخلق وسبت الخلاص بالخروج من مصر**:

■ **سبت الخلق**: قدّس الله يوم السبت وخصّصه بنفسه، اذ منه استراح من بعد خلق العالم، و «انّ التقديس والتمييز اللذين حباهما الله اليوم السابع يهدفان الى اكرامه وتعظيمه بحيث أنّ عمليّة خلق السماوات والأرض انتهت ونمت عندما بدأ هو. فكما أنّ انسانا يقوم بعمل هام، يدعو، عند الفراغ منه، الى وليمة ويوم عيد، كذلك جاء السبت بعد اتمام خلق السماوات والأرض، فقدّسه الله كعلامة لكمال واتمام الخلق»[١٩].

■ **سبت الخلاص والخروج من مصر**: «أمّا إذا نصّت لنا وصيّة وأمرنا بحفظ هذا اليوم، فيكون ذلك نتيجة السبب الآخر (الخروج من مصر): إنّنا كنّا عبيداً في مصر ونعمل لا باختيارنا ولا بإرادتنا وما كنّا أحراراً بأن نستريح، لذلك فرضت علينا البطالة... لنتذكّر الخير الذي صنعه لنا الله إذا أعطانا أن نرتاح بعد عناء السخرة في مصر»[٢٠].

٣) مفهوم العمل والامتناع عنه يوم السبت

■ «**لا تقم فيه بعمل ما...**» (خر ٢٠: ١٠): الامتناع عن العمل يوم السبت لا يعني أبداً الهرب من عنائه أو احتقاراً له، لأنّ «العمل ليس استعباداً إنّما حقّ إنساني مقدّس»[٢١]. قال فيه الحكماء: «عظيم هو العمل لأنّه يشرّف من يقوم به»[٢٢]، أو «أحبب العمل»[٢٣]. لكن العمل المستمرّ قد يؤدّي إلى استعباد الإنسان لما يعمله، ويصبح جزءاً من عناصر الطبيعة الغاشمة التي لا تتوقّف عن الحركة، فلا تعي ذاتها ولا ذات الخالق. في يوم السبت وهو يوم التوقّف عن العمل والراحة «**يشبه اليهودي خالقه. فإنّه مثل الله سيّد عمله حرّ منه وغير مستعبد له... وهذا هو جوهر يوم السبت، إعلان حريّة الإنسان من جهة، وتأكيد خضوعه لله وحده، لأنّه ما من حريّة للإنسان أعظم من استسلامه، بكل قواه، لخدمة الله**»[٢٤].

١٦– لليهودي الملتزم بحفظ أحكام السبت «نفس إضافيّة»: سيقول رابي شمعون بن لاقيش: يهب القدّوس – مبارك هو – الإنسان نفسا إضافيّة، في مساء السبت، وعند الخروج منه يستردّها... (كتاب الهغاداه، السبت، رقم ٧٥، ص ٣٩٥).

١٧– ليوم السبت مأكل خاص، وكذلك ملبس احتراماً له وتمييزاً عن سائر الأيّام: «لا يكن لباسك يوم السبت كلباس يوم عادي (كتاب الهغاداه، السبت، رقم ٥٠، ص ٣٩٢).

١٨– MAÏMONIDE A., *Le Guide des Égarés*, coll. Les Dix Paroles, Verdier, 1999, p. 353.

١٩– ABRAVANEL I., *Commentaire du récit de la Création*, coll. Les Dix Paroles, Verdier, 1999, p. 274.

٢٠– *Les Guides des Égarés...*, p. 354.

٢١– *Le Chabbat, pour le comprendre...*, p. 3.

٢٢– تلمود بابلي، ندريم ٤٩ب.

٢٣– مشناه، نزيقين، أبوت ١: ١٠.

٢٤– *Le Chabbat, pour le comprendre...*, p. 4-5.

■ **الأعمال التي يمنع إنجازها يوم السبت:** للعمل مفهوم خاصّ له ارتباط بعمل الخلق ويمكن تحديده كالتالي: «كل عمل يسيطر فيه الإنسان على العالم بقدرة عقله وحذاقته في سبيل الخلق والبناء»[٢٥]. حدّدت التوراة الشفهيّة بالاستناد إلى التوراة الكتابيّة ٣٩ نوعاً من الأعمال التي تتطبّق عليها مواصفات التحديد المذكور أعلاه، ومردّها إلى الأعمال اللازمة لبناء مسكن الربّ[٢٦]. هذه الأنواع ال ٣٩ هي فصائل أعمال أساسيّة (أبوت ملخوت) يشتقّ منها اجتهادا أعمال فرعيّة (تولدوت).

■ **ما هي الأعمال الأساسيّة؟** ١) الفلاحة، ٢) الزراعة، ٣) الحصاد، ٤) ربط الحزم، ٥) ضرب الحبوب، ٦) تذرية القمح، ٧) تنقية الحب ٩) الطحن، ١٠) العجن، ١١) الخبز، ١٢) جزّ الصوف، ١٣) غسيله، ١٤) تسريحه، ١٥) صبغه، ١٦) حلجه، ١٧) حياكته، ١٨) عقد قطبتين، ١٩) حياكة خيطين، ٢٠) فكّ خيطين، ٢١) عقد عقدة، ٢٢) حلّ عقدة، ٢٣) الخياطة، ٢٤) التمزيق، ٢٥) صيد ظبي، ٢٦) ذبحه، ٢٧) سلخ جلده، ٢٨) تمليحه، ٢٩) تصنيعه، ٣٠) قشطه، ٣١) قطعه، ٣٢) كتابة حرفين، ٣٣) المحي في سبيل كتابة حرفين، ٣٤) البناء، ٣٥) الهدم، ٣٦) إطفاء نار، ٣٧) إشعال نار، ٣٨) الضرب بالمطرقة، ٣٩) النقل من مكان خاصّ إلى مكان عام[٢٧].

٤) مفهوم راحة الله وراحة الانسان يوم السبت

«...**واستراح (الرب) في اليوم السابع من جميع ما عمله**» (تك ٢: ٢): انّ لفظة «سبت» العربيّة ليست سوى ترجمة للفظة «شبّت» العبريّة وتعني «الراحة»، ومنها فعل «شبت» ويعني «استراح». من هذه المقاربة اللغويّة نستنتج العلاقة الوثيقة بين هذا اليوم والمعني الذي لاسمه، لذلك فهو «يوم راحة» او «سبت راحة» او «راحة» للربّ وللانسان.

بعيدا عن كل مشابهة مع الانسان فانّ «الراحة» التي استراحها الرب بعد الانتهاء من الخلق، لا تعني مطلقا أن الرب يتعب كما يتعب الانسان، ولنا في سفر أشعيا تأكيد على ذلك: «**أما عرفت؟ أما سمعت أنّ الرب اله سرمديّ خلق الأرض بكاملها لا يتعب ولا يكلّ أبدا...**» (٤٠: ٢٨). فما راحة الربّ بعد عمليّة الخلق سوى دليل منه على انهائها بحسب ما خطّط لها وعلى كمالها؛ فانّه في كل يوم كان يخلق فيه شيئاً، كان يراه حسناً أي كاملاً. مع يوم السبت الذي هو اليوم السابع اكتملت الخليقة، فتوقّف الله عن«التدخّل» (interférer) في مسيرة ما خلق: هو الخالق الذي يتميّز عن خليقته[٢٨].

أمّا بالنسبة إلى الإنسان، فالتعب من العمل والراحة منه فأمران بديهيّان. بما أنّ الانسان هو على صورة الله ومثاله، فانّ كل عمل يعمله طوال الاسبوع هو على مثال عمل الله، عمل خالق، كذلك الراحة الواجبة عليه هي ليست راحة جسديّة فحسب، بل راحة «كونيّة» يتوقّف فيها الانسان عن أي عمل خلق يظهره بمظهر المسيطر على الطبيعة، فيتساوى بها عائشا معها بسلام (سبت سلام)[٢٩]، وروحيّة، تظهر بالتحرّر من متطلّبات الحياة اليوميّة، فينصرف الانسان اليهودي الى الصلاة في البيت او في المجمع، والى دراسة التوراة، والى سعادة الحياة العائليّة[٣٠]، وكلّها تسهّل عليه العودة الى ذاته والى الله، وتعطيه استقرارا نفسيّا وروحيّا، فينفتح على الاخر، قريبا كان أم غريبا، ويساويه بنفسه ويشعر معه (تث ٥: ١٤)[٣١].

٢٥- *Ibid.*, p. 13.

٢٦- انّ أوّل عمل قام به العبرانيون، في البرّية، وبعد استلامهم التوراة، هو إقامة مسكن للرب كعلامة لحضوره الدائم بينهم، كما قال مخاطبا موسى: «فيصنعون لي مسكنا مقدّسا لأسكن فيما بينهم، ويكون المسكن وجميع أثاثه على المثال الذي أنا أريك» (خر ٢٥: ٨). بناء هذا المسكن المقدّس يتطلّب كل الأعمال المذكورة في اللائحة (راجع خر ٣٥: ٣٠-٣٥)، وقد كان العمال يتوقّفون عن العمل يوم السبت. يعتبر حكماء اليهود أنّ مسكن الرب هذا هو مصغّر للكون الذي خلقه الله واستراح، يستنفد كل حذاقة الانسان وابداعه وتطويعه لسائر وسائل العمل، فيكون الانسان في صنع المسكن هذا يقلّد الله في عمليّة خلق الكون (راجع *Le Chabbat, un avant-goût...*, p. 43-45).

٢٧- مشناه، موعد، شبّت ٧: ٢.

٢٨- *Le Chabbat, un avant-goût...*, p. 29-30.

٢٩- *Ibid.*, p. 30.

٣٠- *Le Chabbat, un avant-goût...*, p. 6.

٣١- *Ibid.*, p. 7.

- يُستَخدَم حِقُّ العطور لنشر الرائحة الطيبة عند انتهاء السبت، تذكيراً بأن الإنسان يتلقى مساء السبت "نفساً إضافية" (נשמה יתרה – "نشَمَهْ يَترَهْ")، تُعطي مذاقها الخاص ليوم السبت، ثم تعود عند أفول هذا اليوم إلى عالم الأنفس، فيشعر الإنسان بهذه الخسارة، ويتولد عنده حنين ، مما يستدعي استعمال العطور المذكورة كي "يرتقي" من جديد إلى الحالة "السبتية".
- الشمعدان عنصر أساسي من الأدوات المستعملة للاحتفال بالسبت، كون موضوع النور مرتبط باليوم الذي يتلألأ بنور الخالق.

هكذا يكون السبت مقدّسا ومباركا عندما يحيا الانسان بتناغم مع الانسان ومع الطبيعة الجامدة والحيوان (تث ٥: ١٤)، فيأخذ كلٌّ من هذه العناصر مكانه ومكانته في عالم أراده الله كاملا فاستراح عندما انتهى ورأى أنّ كل شيء تمّ: الانسان والحيوان والطبيعة الجامدة هي على ما صوّر لها أن تكون. عجقة الأيام الستة تلاها سكون اليوم السابع، فيه ارتاح الله والخلق معه. حالة السكون هذه التي يعيشها الكون في هذا اليوم، هي مقدّمة لزمان يكون كلّه سبتاً حيث «يقيم كلّ واحد تحت كرمته وتحت تينته ولا من يقلقه» (مي ٤: ٤).

٥) «احفظ يوم السبت وقدّسه...» (تث ٥: ١٢)

«منذ أقدم العصور، ويوم السبت هو يوم فرح وبهجة لدى اليهود. تنتظر العائلة مجيئه بفارغ الصبر، وتتهيّئ له طوال الأسبوع»[٣٢]. فقد كان الحكماء عند دنوّ موعده، يرتدون ثياب العيد، ويقولون لبعضهم البعض: «تعالوا الى ملاقاة الملكة (مَلْكَاهْ) بكل حفاوة»[٣٣]؛ وأتباع القَبَّلاَهْ يقولون «الخطّيبة» (كَلاَّهْ).

يمتدّ الاحتفال بيوم السبت من غروب يوم الجمعة، عند اطلاق صوت البوق او الشُوفَارْ، حتى غروب اليوم التالي. يبدأ الدخول في يوم السبت بصلاة المساء (عَرَبِيتْ) في المجمع، وأهم عناصرها: مجموعة المزامير الستة (٩٥-٩٩ + ٢٩) التي ترمز الى ستة ايّام العمل، وهي تدعو لمجيء ملكوت الله على الأرض؛ تليها ترتيلة تقليديّة «لْخَاهْ دُودِي...» (هلمّ يا حبيبي)، وفحواها الذهاب لاستقبال «الخطّيبة» اي يوم السبت... وفي الختام تتلى صلاة القِيدُّوش، وفيها ذكر لملائكة الخدمة، ملائكة «ملك ملوك الملوك القدّوس – مبارك هو». وصلاة الصباح (شَحَرِيتْ) تتألّف هي أيضا من مجموعة مزامير مختارة تذكّر بعمليّة الخلق وروائعها، والخروج من مصر، ويوم السبت (١٩، ٩٠، ٩١، ١٣٥، ١٣٦، ٣٣، ٩٢، ٩٣)، ويضاف اليها قراءة من التوراة وسائر الكتب المقدّسة. وصلاة بعد الظهر (مِينْحَاهْ) تتألّف هي أيضا من مجموعة من المزامير (٣٢، ٨٤، ١٤٥، ١٥...)، ثمّ قراءة من التوراة، تليها صلاة ذات طابع مسيحاني، ومطلعها «أنت أحد واسمك أحد، وما من أحد في الأرض مثل شعبك اسرائيل...». وأخيرا صلاة مساء الخروج من السبت (عَرَبِيتْ لْمُوتْصِأَي شَبَّتْ) او صلاة الفصل بين السبت وأيام الأسبوع (هَبْدَلاَهْ)، يسبقها تلاوة المزامير (١٦، ١٤٤، ٦٧)، ومحورها صلاة الهَبْدَلاَهْ، وهي إلزاميّة للخروج من السبت: «**مبارك أنت أيّها الرب الهنا، ملك العالم، الذي يفصل بين المقدّس والدنيوي، بين النور والظلمة، بين اسرائيل والأمم، بين اليوم السابع وستة أيّام العمل. مبارك أنت أيّها الربّ الذي يفصل بين المقدّس والدنيوي**»[٣٤].

أمّا الاحتفال في البيت، فيبدأ عندما تضيء ربّة المنزل شمعتين تمثّلان «شْمُورْ» (احفظ) و«زْخُورْ» (أذكر) يوم السبت، وهي تبارك قائلة: «**مبارك أنت، أيّها الربّ الهنا، ملك الدهور الذي قدّسنا بأحكامه وأوصانا أن نشعل شموع السبت**»[٣٥]. يمتاز يوم السبت بجو عائلي تقام فيه ثلاث وجبات يلتفّ فيها أفراد العائلة حول مائدة شهيّة تليق: نكهة هذا اليوم الخاصة. توزّع هذه الوجبات على مساء الدخول في يوم السبت، وعلى ظهر يوم السبت، وعلى مساء الخروج من السبت. وما يميّز هذه الوجبات هو قيام ربّ العائلة بصلاة التقديس على الخبز والخمر (قِيدُّوش) قبل البدء بالأكل. تقول هذه الصلاة: «**(على الخمر) مبارك أنت أيّها الرب الهنا ملك الدهور، خالق ثمر الجفنة؛ (وعلى الخبز) مبارك أنت أيّها الرب الهنا ملك الدهور، المنبت خبزا من الأرض...**

مبارك أنت أيّها الربّ، مقدّس السبت»[٣٦].

خاتمة: من اليوم السابع الى اليوم الأوّل

ليوم السبت ذكر في العهد الجديد لا يمكن الاغفال عنه. لم ينكر يسوع على يوم السبت قدسيّته بل التزم به كسائر

٣٢- *Ibid.*, p. 41.
٣٣- تلمود بابلي، شبّت ١١٩أ.
٣٤- سيدّور شيراه حدشاه، ص٣٦٠.
٣٥- سيدّور حرب بفيّوت، ص٢٥٠.
٣٦- سيدّور شيراه حدشاه، ص ٢٠٥-٢٠٦.

أترابه اليهود، واشترك بليتورجيّته في المجمع (لو ٤: ١٦). الاّ أنّه وضعه في اطاره الصحيح عندما علّم «أنّ السبت جعل للانسان، وما الانسان للسبت» (مر ٢: ٢٧). تعليمه هذا أرضى الجموع من جهة وأدهشها (لو ١٣: ١٧)، وأغضب السلطات الدينيّة من جهة أخرى (لو ١٣: ١٤). وذروة ما علّم فيه: أنّ ابن الانسان هو ربّ السبت (مر ٢: ٢٨)، ممّا جعل اليهود في ذروة غضبهم عليه وقرّروا قتله (يو ٥: ١٨). والجماعة المسيحيّة الأولى، المتحدّرة من أصل يهودي، حافظت كما الرسل على يوم السبت، فكانوا يتردّدون فيه الى المجامع للصلاة او لتبشير الجماعة اليهوديّة المصليّة (اع ١٣: ١٤).

ولكنّ ذكرى قيامة الربّ يسوع كانت الحدث التأسيسي الأقوى الذي غذّى الكرازة المسيحيّة، فتحوّل يوم حدوثها، ويوم الاحتفال بها، أي يوم الأحد، اليوم الأوّل من الأسبوع، الى «يوم الرب» الذي على كل مسيحي واجب حفظه؛ قدّسه المسيحيون وجعلوه يوم عبادتهم وراحتهم[٣٧] على خلفيّة لاهوتيّة تعتبر «أنّ السبت الذي كان يمثّل انهاء الخلق الأوّل أبدل بالأحد الذي يذكّر بالخلق الجديد الذي بدأ بقيامة المسيح»[٣٨].

كأس الخمر التي يتناولها أفراد العائلة في السبت ويوم العيد، هي كأس الشكران واللقاء والفرح. كأس الخمر، وقد كُتِب عليها بالعبرية: «إكراماً (حرفياً: "مجد") للسبت».

٣٧– «تجدر الاشارة الى أنّ يوم الأحد قد أصبح يوم بطالة وراحة في القرن الرابع، نتيجة اعتناق الامبراطور قسطنطين للمسيحيّة، واعلانها ديناً رسميّاً في امبراطوريّته، مجيباً بذلك على رغبة الكنيسة الكبرى في تحرير أبنائها المسيحيين من العمل، يوم الأحد، ليتسنّى لهم الانصراف الى العبادة والتسبيح، الاحتفال بذكرى قيامة الرب في الافخارستيّا» (روردورف ويلي، السبت والأحد في تقليد الكنيسة، تعريب الأخت مارسيل هدايا، الكسليك، ١٩٨٢، ص م– ن).

٣٨– التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢١٨٩ . ويدعى أيضا «اليوم الثامن الذي يأتي بعد السبت، فهو يعني الخلق الجديد الذي بدأ مع قيامة المسيح»؛ المرجع السابق، رقم ٢١٧٤.

يوم الجمعة في الإسلام

وجذوره البيبليّة والنصرانيّة

أ. جوزف قزّي

أوّلاً – يوم الجمعة في القرآن

١. جاء ذكرُ «يوم الجمعة» مرّةً واحدة **في القرآن**:

« يَا أَيُّها الّذِينَ آمَنُوا! إذَا نُودِيَ للصَّلاة مِنْ يوم الجُمُعَة فَاسْعَوا إلَى ذِكْرِ اللّه، وَذَرُوا البَيْعَ. ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.

فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ، وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً. لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ.

وَإذَا رَأَوا تِجَارَةً، أوْ لَهْواً، انْفَضُّوا إلَيها، وَتَرَكُوكَ قَائماً. قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيرٌ مِنَ اللّهوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ. واللّهُ خَيرُ الرّازِقِينَ»[١].

يشرح المفسِّرون كلمات هذه الآيات بالتفصيل:

٢. «إِذَا نُودِيَ للصّلاة». يقول الطبري: «ذلك هو **النداء**، يُنادى بالدعاء إلى صلاة الجمعة عند قعود الإمام على المنبر للخطبة». ويقول القرطبي: «يختصّ بوجوب الجمعة على القريب الذي يسمع النداء. فأمّا البعيد الدار، الذي لا

١– سورة الجمعة، مدنيّة، ٩٢:٩–١١.

مسلمون يؤدّون صلاةَ الجمعة
أمام مسجد الصخرة المُشيَّد على موقع هيكل أورشليم

قبة الصخرة في القدس

يسمع النداء، فلا يدخل تحت الخطاب. واختلف فيمن يأتي الجمعةَ من الدّاني والقاصي. إنّما قال الشافعي: اعتبار سماع الأذان أن يكون المؤذّن صَيِّتاً، والأصوات هادئة، والريح ساكنة، وموقف المؤذّن عند سُور البلد. وفي حديث لرسول اللّه: «إنّما الجمعة على مَن سمع النداء».

٣. «مِنْ يومِ الجُمُعَةِ». يقول ابن كَثِير: «إنّما سُمّيت **الجمعة** جمعة، لأنّها مشتقّة من الجَمع. فإنّ أهلَ الإسلام يجتمعون في كلّ أسبوع مرّةً بالمعابد الكبار. إنّه اليوم السادس من السنة التي خَلق اللّهُ فيها السموات والأرض. فيه خُلق آدم. وفيه أُدخل الجنّة. وفيه أُخرج منها. وفيه تقوم الساعة. وفيه ساعة لا يسأل اللّهَ مؤمنٌ خيراً إلاّ أعطاه إيّاه»[٢].

ويقول ابن كثير أيضاً: «وقد كان يقال له في اللّغة القديمة، يوم العروبة. وثبت بذلك أنّ الأمم قبلَنا أُمِروا به، فَضلّوا عنه. واختار اليهود يوم السبت. واختار النصارى يوم الأحد. واختار اللّه لهذه الأمّة يومَ الجمعة الذي أكمل اللّهُ فيه الخليقة.

وروى أبو هُريرَة عن محمّد قال: قال رسول اللّه: «نحنُ الآخِرون السّابقون يومَ القيامة. بَيدَ أنّهم أُوتُوا الكتابَ مِن قَبْلنا. ثمّ إنّ هذا يومُهم الذي فَرَضَ اللّهُ عليهم، فاختلَفوا فيه، فهدانا اللّه له. فالنّاسُ لنا فيه تَبَعٌ: اليهودُ غَداً، والنّصارى بعدَ غَدٍ». وجاء في رواية: «أضلّ اللّهُ عن الجمعةِ مَن كان قبْلَنا. فكان لليهود يومُ السبت، وكان للنّصارى يومُ الأحد. فجاء اللّهُ بنا فهَدانا ليوم الجمعة. فجعلَ الجمعةَ والسبتَ والأحدَ. وكذلكَ هم تَبَعٌ لنا يومَ القيامة، نحنُ الآخِرونَ من أهلِ الدنيا، والأوّلون يومَ القيامة المَقضِي بينَهم قبلَ الخلائق»[٣].

٤. «فَاسْعَوا إلَى»، أي: فامضوا إلى ذكر اللّه، واعملوا له. وأصل "**السعي**" هنا: ألعمل لا المشي. واختُلف في ذلك. فمِن قائلٍ إنّ المعنى هو: إذا سمعتم الدّاعي الأوّل للصلاة، فأجيبوا إلى ذلك، وأسرعوا، ولا تُبطئوا.. ومن قائلٍ بأنّ ثمّة حديثاً نبويّاً يمنع المشي السريع إلى الصلاة، جاء فيه: «إذا سمعتُمُ الإقامَةَ فامشُوا إلى الصلاة، وعليكمُ السّكينةُ والوَقارُ، ولا تُسْرِعُوا»[٤].

٥. «ذِكْرِ اللّهِ»، الذي أمر اللّهُ بالسعي إليه، فإنّه موعظة الإمام في خطبته. يقول الطبرسي: المراد بذكر اللّه **الخطبة** التي تتضمّن ذكر اللّه والمواعظ. ولا يعني، هنا، الصلاة، التي جاء الكلام عليها في بدء الآية. «والخطبة، على ما قال القرطبي، شرط في انعقاد الجمعة، لا تصحّ إلاّ بها. وهو قول جمهور العلماء».

٢- أنظر البخاري ٢:١٦؛ ومسلم ٣:٥.
٣- صحيح مسلم ٣:٧.
٤- أنظر صحيح البخار ٢:٣؛ وصحيح مسلم ٣:٤.

٦. «وَذَرُوا البَيْعَ». وهو كناية عن التجارة: وإذا ما سمع المؤمنون النداءَ، لا يحلّ لهم البيع ولا الشراء؛ بل هو محرَّم عليهم. و"البيع" يدلّ على أنّ الخطابَ موجَّهٌ للأحرار، لأنّ العبد لا يملك ليبيع.

٧. «ذَلِكُمْ خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»؛ أي إنْ كنتم تعلمون مصالح أنفسكم ومضارَّها. أي إنّ صلاةَ الجمعة، وذكرَ اللّه فيها، والسعي إليها، والامتناع عن التجارة... كلّها خيرٌ ولمصلحة المؤمنين.

٨. «فَإذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ»، أي: إذا قُضيت صلاة الجمعة يومَ الجمعة، «فَانْتَشِرُوا فِي الأرْضِ»، إنْ شئتم، ذلك، رخصةً من اللّه لكم في ذلك؛ أي إنّ هذا إذْن من اللّه. فمن شاء خرج، ومَن شاء جلس. وقيل: «ألصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت».

٩. «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ»، ذُكِر عن النّبي في تأويل ذلك ما جاء عن أَنس بن مالِك، قال: قال رسول اللّه: «فإذا قُضيت الصلاة فانتشروا... ليسَ لِطلبِ دنيا، ولكن عِيادةُ مريضٍ، وحضورُ جَنازةٍ، وزيارةُ أخٍ في اللّه»[٥]...

وقال الفخر الرازي في تفسير: «وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّهِ»، هو الرزق. ونظيره في القرآن: «ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربّكم»[٦].

١٠. «وَاذْكُرُوا اللّهَ كَثِيراً. لَعَلَّكُم تُفْلِحُونَ». أي: واذكروا اللّهَ بالحمد له، والشكر على ما أنعم به عليكم من التوفيق لأداء فرائضه، لتفلحوا، فتدركوا طلباتكم عند ربّكم، وتصلوا إلى الخلد في جنّاته. وقال الرازي في تفسير ذلك: إذا رجعتم إلى التجارة وانصرفتم إلى البيع والشراء مرّةً أخرى فاذكروا اللّه كثيراً. وذلك نظير قوله تعالى: «رجالٌ لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر اللّه»[٧].

١١. «وَإذَا رَأوا تِجَارَةً»، أي وإذا رأى المؤمنونَ عِيرَ تجارةٍ، «انْفَضُّوا إلَيها»، أي أسرعوا إليها، «وَتَرَكُوكَ قَائماً»، أي وتركوا النّبيَّ قائماً على المنبر وحدَه؛ وهذا ما حدث عندما تركَ المؤمنونَ النّبيَّ في المسجد، وسَعَوا وراء عيرِ دِحيَة بن خليفة الكلبي القادمة من الشام، محمّلة زيتاً وبضائع أخرى؛ ولم يبق مع النّبيّ، في المسجد، إلاّ اثنا عشر رجلاً. قال الحسن: «أصاب أهلَ المدينة جوعٌ وغلاء سعر، فقدِمتْ عِيرٌ والنّبيّ يخطب يومَ الجمعة، فسمعوا بها، وخرجوا إليها. فقال النّبي: لو اتبّعَ آخرهُم أوّلَهم لالتهب الوادي عليهم ناراً».

ويقول ابن كثير في قوله: «وتركوكَ قَائِماً»، دليل على أنّ الإمام يخطب يومَ الجمعة قائماً.

١٢. «أَوْ لَهْواً»، اختُلف من أيّ أجناس اللّهو كان، فقال بعضهم: كان كَبَراً، أي طبلاً، ومزامير. وكانوا، إذا أنكحوا الجواري يضربون المزامير. فمرّوا يضربون، فتركوا النّبي.

١٣. «قُلْ ما عِنْدَ اللّهِ خَيرٌ مِنَ اللّهوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ»، أي: قلْ لهم يا محمّد: الذي عند اللّه من الثواب لمن جلس مستمعاً خطبة رسول اللّه، وموعظة يوم الجمعة، إلى أن يفرغ رسولُ اللّه منها، خيرٌ له من اللّهو والتجارة التي ينفضون إليها ويسرعون.

١٤. «واللّهُ خَيرُ الرّازِقِينَ»، أي: إليه ارغبوا في طلب أرزاقكم، وإيّاه فاسألوا أن يُوسع عليكم من فضله دون غيره.

ثانياً – إسم يوم الجمعة

كان اسم يوم الجمعة في الجاهليّة، قبل الإسلام، "يوم العُروبة". مشتقّ من السريانيّة: "يَوْمُا دَعْرُوبْتَا"، أي: يوم الغروب؛ غروب الإسبوع عند اليهود، الذين كانوا "يجتمون" فيه للتبضّع وإنهاء أعمالهم، وتتميم كلّ متوجّبٍ عليهم يتطلّب منهم حركةً، أو عملاً، وذلك ليخلدوا إلى راحة "السبت"، تتميماً لمشيئة اللّه الذي، بعد أن فرغ من أعماله، خلد إلى الراحة.

فيوم العروبة كان يوم عملٍ وحركة، ويوم السبت يوم راحة وسكينة. في يوم العروبة كانت الأعمال والاجتماعات متتالية، وفي يوم الراحة كان هدوء يكاد يكون تامّاً، تقف فيه كلّ حركة.

"ألعروبة"، في السريانيّة والعربيّة ما قبل الإسلام، تعنى: الغروب بالمطلق. وهي مشتقّة من "ع ر ب"، أي عرب، وتعني: الغرب. واسم "العرب" هو من هذا الأصل. وهو إسم أُطلق، أوّل ما أُطلق، وخلافاً لما يقوله المؤرّخون المسلمون، على سكّان غربي الفرات؛ وكذلك "اللّغة العربيّة" تعنى: اللّغة الغربيّة، أي لغة غربي الفرات. وكان المتكلّمون بها مسيحيّي الحيرة والأنبار.

في يوم العروبة، كان يجتمع اليهود، واليهود–المتنصّرون (أي: النصارى، بلفظ القرآن)، ليشتروا ويبيعوا،

٥– برواية السيوطي أن الطبري انفرد بإخراجه عن أنس.
٦– سورة البقرة ٢:١٩٨. أنظر أيضاً: ١٦:١٤؛ ١٧:١٢ و٦٦؛ ٥٨:٧٣؛ ٣٠:٤٦؛ ٣٥:١٢؛ ٤٥:١٢.
٧– سورة النور ٢٤:٣٧.

ويشهدون احتفالات اللّهو والقصف؛ لأنّ اليوم التالي يوم لا لهْوَ فيه ولا تجارة...

وعندما انفصل الإسلامُ، في المدينة، عن اليهوديّة والنّصرانيّة، تحوّلت القِبلةُ من بيت المقدس باتّجاه مكّة؛ واستُبدل أيضاً إسم يوم العروبة باسم يوم الجمعة، ألمأخوذ من "الجمْع"، أو "التجمّع"، الذي كان يقوم فيه.

هذا ولا معنى لما جاء على لسان رسول اللّه بأنّ الجمعة تأتي من "جمع" آدم الأشياء. قال: «سمّيت الجمعة جمعة لأنّ آدم جمع فيها خلقَه». وقال أيضاً: لمّا فرغ اللّه فيها من خلق الأشياء، اجتمعت فيها المخلوقات».

ويتأكّد لنا ما نقول من أسماء أيّام الأسبوع (أي: سبعة) المتتالية بلفظ الأعداد: مثل الأحد (١)، الإثنين (٢)، الثلاثاء (٣)، الأربعاء (٤)، ألخميس (٥)، والسبت (٧)؛ فيما الجمعة كان يجب أن يكون، كسائر الأيام، من لفظ العدد (٦)... غير أنّ ما في يوم العروبة، عند اليهود، من أعمال وحركة وغروب للأسبوع كلّه، طغى على ما يجب أن يكون له من تسمية. وما في يوم الجمعة، عند المسلمين، من تجمّع، طغى على ما يجب أن يكون له من تسمية.

ولهذا السبب أيضاً، لا يزال "الأسبوع" يحمل إسم أهمّ يومٍ فيه، وهو "الجمعة". وهو ما يوجد على ألسنة العامّة الذين يكنّون الأسبوع بالجمعة.

ثالثاً – ما يجب يوم الجمعة

عن ابن كَثير: «يستحبّ لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها. وذلك من قول رسول اللّه: «غُسْلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ مُحتَلِم»... ويستحبّ له أن يلبس أحسن ثيابه، ويتطيّب، ويتسوّك، ويتنظّف، ويتطهّر..

وعند الطباطبائي أيضاً، في تفسيره للفظة "السعي"، ما يتوجّب على المسلم القيام به يوم الجمعة. يقول: «إسعوا، أي: إعملوا لها، وهو قصّ الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والغسل، ولبس أنظف الثياب، والتطيّب للجمعة. فهو السعي. يقول اللّه: «وَمَن أرادَ الآخِرةَ وسعَى لها سعيَها، وهو مؤمن، فأولئك كان سعيُهم مشكوراً»[٨].

«ويؤمر بحضور الجمعة الرجالُ الأحرار، دون العبيد والنساء والصبيان. ويُعذر المسافر والمريض وقيِّم المريض.

ولا تصحّ الجمعة، في رأي الشافعي، إلاّ إذا اجتمع لها ما لا يقلّ عن أربعين مسلماً؛ على أنّ المالكيّة والحنفيّة لا يتمسّكون بهذا العدد. فيما الإسماعيليّة يكتفون بسبعة، تيمّنا بعدد الأئمّة السبعة، والإثنا عشريّة بإثنَي عشر بعدد أئمّتهم أيضاً.

وإذا كان ترْكُ البيع والشراء عند صلاة الجمعة، واجب، فإنّ «مَن باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك اللّه له سبعين مرّة»؛ ولهذا جاء في الحديث: «مَن دخلَ سُوقاً من الأسواقِ فقال: لا إلهَ إلاّ اللّه وحدَه لا شريكَ له، له المُلكُ وله الحمدُ، وهوَ على كلِّ شيءٍ قدير، كتب اللهُ له ألفَ ألفِ حسنة، ومحا عنه ألفَ ألفِ سيِّئة»[٩].

هذا يعني أنّ يوم الجمعة، في الإسلام، ليس يوماً للراحة، ولا يوماً مقدّساً، كما هو حال السبت عند اليهود، والأحد عند المسيحيّين. بهذا المعنى قال أحمد محمّد شاكر، أحد مترجمي الأنسكلوبيديا الإسلاميّة، منتقداً صاحبَ مقال "الجمعة": «هذا اليوم لم يسمِّه المسلمون يوماً مقدّساً، بل هو يوم كسائر الأيّام»[١٠].

ثمّ إنّ إقامة صلاة الجمعة في أكثر من مسجدٍ واحد في مكانٍ واحد، هي، في رأي معظم الفقهاء، باطلة شرعاً، ذلك لأنّه الأصل، في صلاة الجمعة، ألخطبة. والخطبة يخطبها الإمام الأعظم، وهو الخليفة. ويخطبها نوّابه الحكّام في الأمصار والعواصم وكبار القرى. يجتمع النّاسُ لها في البلد الواحد في مكان واحد.

والخطبة عادةً تنقسم إلى قسمين: قسم يسرد حادثةً من حياة النّبيّ، وقسم يعظ فيه الخطيبُ الناسَ، فيجمع قلوبَهم على الإيمان والتقوى ومكارم الأخلاق، ويتحدّث إليهم في ما ينوبهم من أحداث سياسيّة وجتماعيّة وأخلاقيّة، ونحو ذلك[١١].

رابعاً – أحكام يوم الجمعة

من الأفضل للمسلم أن يؤدّي صلاته المفروضة جماعةً مع غيره؛ لقول النّبيّ: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبعٍ وعشرين درجة».

يتقدّم أحدُ المصلّين، يكون أعلمهم بالدين وأحسنهم تلاوة للقرآن، ويسمّى "الإمام". ويصطفّ الباقون خلفه بشكلٍ منظّم، متساوٍ، لقول النّبي: «سَوُّوا

٨– سورة الإسراء ١٧:١٩.
٩– تحفة الأحوذي، ٩:٣٨٩.
١٠– أنظر حاشية على مقال «الجمعة»، ج ٧، ص ١٠٥.
١١– راجع المرجع السابق نفسه.

صفوفَكم. فإنّ تسويةَ الصفِّ من تمامِ الصلاة»، وقوله: «ما منْ خطوةٍ أعظم أجراً من خطوةٍ مشاها رجلٌ إلى فرجةٍ في الصفِّ فسَدَّها».

على الإمام أن يخفِّف الصلاة عن المصلّين، لقول النّبي: «إذا صلّى أحدُكم بالناس فليخفِّفْ. فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير. فإذا صلّى لنفسه فليطوّل ما شاء».

وعلى المصلّين أن يتابعوا الإمام ولا يسابقونه، لقول النّبي: «أمَا يَخشَى أحدُكم إذا رفَعَ رأسَه قبْلَ الإمام أن يُحوِّلَ اللّهُ رأسَه رأسَ حمار»!

وللنساء في صلاة الجمعة مكان خاصّ في المسجد. وقد يُعفَين من الصلاة إذا ما كان بدّ من اختلاطهنّ بالرجال. قال رسول اللّه: «خيرُ صفوف الرجال أوّلها، وشرّها آخرها. وخير صفوف النساء آخرها، وشرّها أوّلها».

وعادة ما يكون الاجتماع وقتَ الظهر، لكي يكون كلّ شيءٍ في وضح النّهار، وعلانيةً، ولمشاركة الجميع. ويصلّي المسلم ركعةَ "تحيّة المسجد" قبل الخطبة، وبعد الخطبة يصلّي "ركعتَي الجمعة".

وصلاة الجمعة فرْض عين، أي هي واجبة على كلّ مسلم، حرّ، عاقل، بالغ، مقيم، قادر على السعي إليها، خالٍ من الأعذار، ولكنّها غير واجبة على الصبيّ، والمرأة، والمريض، والمسافر، والمدين المعسر، والمختفي من الحاكم الظالم. وكلّ معذور مرخّص له.

وأخيراً إنّ المسجد غير الجامع: ألمسجد

حجاج مسلمون إلى الكعبة في مدينة مكة

مكانٌ للصلاة، والأرض كلّها مسجدٌ للّه ومكانٌ للصلاة. «في المسجد، أو خارجه، يستطيع المسلم أن يؤدّي فريضة الصلاة. فالإسلام يعتبر الكرة الأرضيّة بأسرها، مسجداً مفتوحاً للخلوة مع اللّه. لكن، ثمّة فرائض أخرى، لا يستطيع المسلم أن يؤدّيها إلاّ في مؤتمر إداري خاصّ، له سلطة أعلى من سلطة الدولة، ينعقد دوريّاً، في مواعيد محدّدة، غير قابلة للإلغاء، أو التأجيل. وهو المؤتمر الذي عرفه تاريخ الإسلام تحت إسم **الجامع**»[١٢].

«هذا الاجتماع له موعدٌ محدّد في الإسلام، ما يزال يحمل اسمَه حتى الآن، هو **يوم الجمعة** الذي تنعقد فيه مؤتمرات جماعيّة داخل العاصمة وخارجها، يحضرها المسؤولون عن الإدارة – ومنهم الخليفة شخصيّاً –، وتخصّص لنقاش شؤون الحكم، من قرارات الحرب والسلام، إلى قوانين التجارة، وتوزيع السلع، والمخالفات الإداريّة.

«وإذا كان **يوم الجمعة** قد أصبح الآن يوماً مخصّصاً للصلاة وحدَها، فإنّ ذلك أمرٌ مردّه إلى إبطال الشرع الجماعي نفسه، وتغييب وظيفة الجامع وراء وظيفة المسجد، بموجب تفسيرات سياسيّة طارئة، تمّ تحريفُها عمداً، وذلك عندما استولى الأمويّون على الحكم، وضربوا نظام الإدارة الجماعيّة في الجامع، إذ ذاك بدأت المحنة. فغاب الجامع وراء المسجد، وغاب المؤتمر الإداري وراء خطبة الإمام، وأصبح **يومُ الجمعة** موعداً لصلاة المسلمين الساكتين»[١٣].

لقد نجح الفقه الإسلامي في تغييب وظيفة **الجامع** وراء وظيفة المسجد، وفي تحويل **يوم الجمعة** من يومِ عملٍ عادي وقرارات شعبيّة مشتركة إلى يومٍ مقدّس، ويوم راحةٍ وعطلة عن كلّ عمل ونشاط[١٤].

وفي الختام، وبحسب الصادق النيهوم دائماً، لا يملك الإسلامُ وسيلةً إداريّة ناجحةً، لأداء أهم فرائضه، ولكسب معركته ضد الإقطاع والأصوليّة، ولاستعادة الديموقراطيّة المباشرة على مستوى القاعدة، وللعمل على تحكيم الأمّة بدل تحكيم الفرد، ولاستعادة الإسلام كدين لا كفقه وشرائع مستبدّة، «سوى لقاء **يوم الجمعة** وحدَه، فقط، لا غير»[١٥].

١٢– الصادق النيهوم، صوت النّاس، محنة ثقافة مزوّرة؛ منشورات رياض الريّس، ١٩٨٧، ص ٤١، وذلك في فصل بعنوان: «ألجامع ليس هو المسجد».
١٣– المرجع السابق نفسه، ص ٤٢–٤٣ و٤٧.
١٤– ألصادق النيهوم، المرجع نفسه، أنظر: فصلين بعنوان: «أين ذهب الجامع؟» (ص ٥٥–٧١)، و«أين ذهب يوم الجمعة؟» (ص ٧٣–٨٢).
١٥– ألصادق النيهوم، إسلام ضد الإسلام، شريعة من ورق، رياض الريس، لندن، ١٩٩٤، ص ١٨.

العيد لدى ربّ الأكوان
(أش ٢٥)

الخوري بولس الفغالي

في عيد رب الأكوان،
يحسن العزف وتسبيح الله بالأوتار والدف والمزمار

عندما نقرأ أسفار الأنبياء نلاحظ مراراً لغة التهديد والوعيد. فاللّه آت لكي يُعاقب شعبه على خطيئته لكي يدينه الدينونة القاسية لأنّه خالف العهد فتبع الآلهة الغريبة، وتجاوز حق الغريب والفقير واليتيم والأرملة. ويوم الرب، كما قال عاموس، هو يوم الظلام والسواد، لا يوم النور والضياء. ولكنّنا، مع ما نقرأ في أشعيا اليوم، نعيش نفحة العيد. الرب بنفسه جاء يعيّد مع شعبه، بل مع جميع الشعوب. فهو ليس إله شعب وحسب، وليس هداية الأمم فقط؛ إنّه رب الكون كلّه. هو يدعو الأكوان جميعاً لتحتفل معه بالعهد وتنشد الأناشيد: «هذا هو الاله الذي انتظرناه، فلنبتهج ونفرح بخلاصه». ونحن نقرأ أش ٢٥، فنكتشف فيه فعل الشكر لأحكام اللّه العادلة تجاه المتكبّرين ورحمته من أجل المضايقين (آ ١-٥). كما نشارك في وليمة كجميع الشعوب (آ ٦-٨)، ونفهم في النهاية (آ ٩-١٢) أنّ الذين يظلّون خارج الوليمة، هم المتجبّرون المتكبّرون الذين يمثّلهم موآب (آ ٩-١٢).

١- نشيد الشكر

«أيّها الرب أنت إلهي! أعظمك وأحمد اسمك لأنّك صنعت عجباً وتمّمت بحق وصدق ما شئته من قديم الزمان» (آ ١).

نبدأ فنقول قبل التوقف عند هذه القطعة، إنّ أش ٢٤-٢٧ يشكل وحدة دخلت في هذا الكتاب الكبير الذي اسمه سفر أشعيا بعد أن شكلت في الأصل مقاطع ارتبطت بعضها ببعض، وجاءت مستقلّة عن قبلها وعن بعدها. هنا نتذكّر أنّ سفر أشعيا شأنه شأن سائر الأسفار لم يدوّن دفعة واحدة، بل جمع عناصر عديدة ارتبطت بما نستطيع أن نسمّيه مدرسة أشعيا التي بدأت مع النبي في القرن الثامن ق. م. وتواصلت في أيّام المنفى (٥٨٧-٥٣٨)، كما بعد المنفى، وصولاً الى الفرس واليونانيّين؛ وقد تركت هذه المدرسة بصماتها حتى في الحقبة الهلينيّة التي بدأت مع الاسكندر المقدوني، فحملت الى الشرق الحضارة اليونانيّة.

فالوحدة المؤلّفة من ف ٢٤-٢٧ تمثّل الرؤيا الكبيرة في أشعيا، وتليها الرؤيا الصغيرة في ف ٣٤-٣٥، وهي لا تتوقف عند حدث معيّن، بل تلقي نظرة علويّة الى الأحداث. فاللّه هو الذي يرسل أنواره إلى «نبيّه»، والنبيّ يعبّر عن هذا النور بلغة عصره. ولكن هذا لا يمنع التلاميذ من أن يعيدوا قراءة النصوص على الواقع الجديد الذي يعيشونه. ولا تتوقف هذه الفصول عند مدينة معيّنة. فإن كانت الكلمة النبويّة انطلقت في البدء من مدينة معيّنة، فهي في النهاية تصل الى كل مدينة. هذا ما نقوله عن «المدينة المنيعة» في ٢٦:١، التي رأى فيها الشرّاح أورشليم وعير موآب وغيرهما. أجل، لا يمكن لكلمة اللّه أن تنحصر في مكان، ولو كان أرض الرب بعاصمتها المقدّسة وهيكلها الذي يدلّ على حضور الرب وسط شعبه. ولا يمكنها أن تنحصر في زمان، فهي لكل زمان ومكان. لهذا نحن نقرأها اليوم في أشعيا بعد أن مرّت عليها ألفا سنة ونيف.

«أيّها الرب أعظّمك...»

ونعود الى آ ١-٥، فهي تنشد صلاح اللّه. وهذا الصلاح يظهر في معاقبة المتكبّرين الظالمين. هذا ما يُسمّى في لغة الكتاب «انتقاما»، الذي هو في الواقع إحقاق الحق. لهذا يقول النص: «تمّمت بحق وصدق». تلك هي الوجهة السلبيّة؛ والوجهة الإيجابيّة ترينا صلاح اللّه عندما يهتم بالبؤساء والفقراء، فيكون لهم ملجأ يقيهم من العواصف.

وهكذا جاءت هذه الآيات كما يلي: لماذا نمدح اللّه (آ ١ أ)؟ بسبب أعماله العجيبة، بسبب نشاطه الذي يتعدّى كل ما يستطيع البشر أن يفعلوا (آ ١ ب). وكيف بدت هذه الأعمال؟ حين دمّر المدينة والحاضرة (أو القرية)، فصارتا رجمة وخراباً (آ ٢). هنا نفهم أسلوب الكتاب المقدس الذي ينسب في النهاية الى اللّه كلّ شيء. كأني به يترك تدخلات البشر في التاريخ من أجل الخراب أو البناء، ويعيد كل شيء إلى اللّه. في الواقع، كانت حرب شرسة، وأي عصر لم يعرف الحروب، تركت وراءها الدمار، فاعتبر «النبي» أنّ الرب هو الذي وجّه هذه الحرب كنداء الى التوبة والعودة الى اللّه.

لذلك نجد في آ ٣ دعوة الشعوب لكي يمجّدوا اللّه ويحمدوه، وهذا يعني أنّهم اعترفوا بعظمته، وأقرّوا أنّ عظمته ليست بشيء تجاهه. عندئذٍ يتشبّهون بالشيوخ في سفر الرؤيا الذين ألقوا أكاليلهم عند العرش الالهي (رؤ ٤:١٠)، وارتموا على وجوههم ساجدين للّه وقالوا: «لإلهنا الحمد والمجد والحكمة والشكر والإكرام والقوّة والقدرة الى أبد الدهور» (رؤ ٧:١١-١٢).

ونصل في آ ٤ الى أسس فعل الشكر والتعظيم: اللّه ملاذ الفقراء، اللّه موئل الجالس في ضيقه. اللّه ملجأ بوجه القضاة الذين يشبههم النص بالعواصف خلال الشتاء، وبالحرّ الشديد الذي يقابله فَيْءٌ يؤمّنه الرب الاله. وهكذا ينطلق المؤمن من الوضع الحاضر، فيتطلّع إلى المستقبل المشرق (آ ٥). إذا كان اللّه بهذه القدرة، فماذا يخاف الإنسان بعد؟ ماذا يخاف الفقير والبائس؟

وهكذا نكون أمام حدث من الصراع بين الشر والخير، بين القوّة والضعف، بين الذين يضعون ثقتهم في اللّه والذين يستندون إلى قوّتهم البشريّة وجبروتهم.

٢- وليمة اللّه من أجل الشعوب (٢٥:٦-٨)

مع آ ٦ تبدأ صورة جديدة جدّاً، صورة وليمة اللّه، على ما اعتاد الملوك الكبار أن يفعلوا ليجعلوا الناس راضين فرحين.

يتحدث النبي عن هذا الجبل الذي هو جبل أورشليم، الذي اليه تأتي جميع الشعوب، إلى أيّ عرق أو لون انتمت، الذي هو جبل الربّ بعد أن اختاره اللّه لسكناه. ونحن نقرأ في أش ٢:٢-٣: «ويكون في الأيّام الآتية أن جبل بيت الرب يثبت في رأس الجبال، ويرتفع فوق التلال. إليه تتوافر جميع الأمم، ويسير شعوب كثيرون يقولون: "لنصعد

بعد المنفى، لعب الهيكل دوراً هاماً في عيش حضور الله وسط شعبه، كونه مكانَ العبادة، وتقديم الذبائح، والاحتفالات بأعياد الرب

إلى جبل الرب، إلى بيت إله يعقوب، فيعلّمنا أن نسلك طرقه". فمن صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب».

ويرتبط بالجبل الشعوب الكثيرون، لا الشعب الواحد الذي حسب نفسه قد تسلّم وحده بركات اللّه. فمنذ إبراهيم نعرف مواعيد اللّه : «بك تتبارك جميع الشعوب». أترى اللّه يقيم مأدبة محصورة في قلّة قليلة؟ ففي الإنجيل سيدعو جميع الموجودين في الشوارع، من أشرار وصالحين، بحيث تمتلئ قاعة العرس (مت ٢٢: ١٠). ويقول لو ١٤: ٢١ : «أخرج مسرعاً الى شوارع المدينة وأزقّتها، وأدخل الفقراء والمشوّهين والعرج والعميان الى هنا». ولكن بقيت مقاعد فارغة، فقال السيّد أيضاً لخادمه : «أخرج الى الطرقات والدروب، وألزم الناس بالدخول، حتى يمتلىء بيتي» (آ ٢٢-٢٣).

ذاك هو الوضع في أشعيا؛ فالوليمة وليمة عيد، وليمة الفرح. والطعام أغنى ما يكون، طعام الإله : اللحوم المسمّنة بما فيه الشحم الذي يقدّم للّه في الذبيحة، والخمر المعتقة التي وُضعت طويلاً قبل أن تصفّى. أجل، هكذا يستقبل اللّه جميع الشعوب، ولا ينسى شعباً واحداً، على ما يقول مز ٨٧ : هناك مصر وبابل الدولتان القويّتان اللّتان سيطرتا على سياسة الشرق الأوسط القديم. وشعب فَلِسْطْيَة، مع أنّهم لم يكونوا مختونين، وأهل صور الوثنيّة، التي حملت مع صيدا عبادة البعل الى اسرائيل، وهناك كوش، شعوب أفريقيا السمراء. كلّهم يدوّنون في سجلاّت اللّه. قد يكونون وُلدوا في هذا البلد أو ذاك، فهذا ليس بمهمّ؛ المهمّ هو أنّ سجلاّتهم الحقيقيّة في أورشليم. تقول المدينة : جميعهم وُلدوا هنا، وأورشليم ينبوع بركاتهم.

وما نفع وليمة يغمرها الحزن، يسيطر عليها الموت والدموع؟ فالحرب قد مرّت من هنا، وتركت نتائجها المريعة، على ما قيل في إرميا : «راحيل تبكي بنيها ولا تريد أن تتعزّى لأنّهم لم يعودوا في الوجود؟ ولكن من يستطيع أن يوقف الحرب والموت والدموع والحزن؟ اللّه وحده. لهذا يقول النبي : «يزيل الرب في هذا الجبل غيوم الحزن التي تخيّم على جميع الشعوب» (آ ٧). حرفيّاً : «الغطاء الذي يُغطّي»، و«النسيج المنسوج». هكذا تغطّي المرأة وجهها عند الموت، أو

أمام العار المخزي، وتبكي بكاء الصمت، ولكن كل هذا سوف يزول.

ويتابع النص : «ويبيد الرب السيّد الموت الى الأبد، ويمسح الدموع من جميع الوجوه، وينزع عار شعبه عن كل الأرض» (آ ٨). أجل، كل هذا يزول بسرعة، كما يقول أشعيا، فيردد صداه سفر الرؤيا، فيقول : «ولن يجوعوا ولن يعطشوا، ولن تضرّ بهم الشمس وأي حر». لماذا؟ «لأن الحمل الذي في وسط العرش يرعاهم ويهديهم إلى ينابيع مياه الحياة، واللّه يمسح كل دمعة من عيونهم». كل هذا تحقق في شخص الحمل، يسوع المسيح ابن اللّه، الذي تجسّد منذ ألفيّ سنة، فجاء يحمل السلام إلى الأرض، إلى البشر الذين يعيشون في رضى اللّه.

٣- نشيد الفرح (٢٥ : ٩-١٢)

من الذي يجري هذه المعجزة العظيمة التي تعمّ الكون كلّه؟ يد الرب وقدرته. لهذا، يعود المؤمن إلى النشيد، فيصبح نشيده جزءاً من الاحتفال حول عرش اللّه. وهذا النشيد يدور أيضاً حول خلاص الأمم، مع أمّة تظلّ خارج هذا الخلاص، هي أمّة موآب. لماذا هذا الاستثناء؟ أترى لا يستطيع الكاتب الملهم أن يخرج من هذا الإطار الضيّق الذي يعيش فيه؟ ألا يستطيع أن ينسى عداوة أورشليم لموآب؟ قد يكون ذلك. ولكن المعنى هو غير ذلك؛ فاللّه يريد خلاص جميع شعوب الأرض، غير أنّ هذا لا يعني أنّ الجميع سيتجاوبون مع هذا النداء؛ فالذين يرفضون، ينتظرهم قضاء عادل ودينونة قاسية. فحبّ اللّه لا حدود له، ولا يمكن أن يكون أحد خارج حبّه؛ وإن هو فعل، تألّم الرب في قلبه من قرار سلبي يتخذه شعب من الشعوب، كما فعل موآب.

نحن في هذه القطعة من نشيد الشكر (آ ٩-١٢) أمام ثلاث وحدات صغيرة جُعلت هنا في امتداد صورة العيد على جبل صهيون، والوليمة التي تُقام للشعوب، فيأكلون ويتّحدون مع الرب، كما في ذبيحة السلامة، ويتحدون بعضهم مع بعض تحت نظر اللّه الذي يريد البشريّة كلّها لغة واحدة ولساناً واحداً، أي أنه يريد بشريّة يتفاهم أفرادها في ما بينهم، بحيث لا يكون قريب وبعيد، بل يكونون كلّهم من أهل البيت.

أمّا الوحدة الأولى (آ ٩-١٠أ)، فهي نشيد قصير يُنشد في اسرائيل احتفالاً بخلاص حمله اللّه إليهم. هذا في خطوة أولى. وفي خطوة ثانية، يُنشد في الكون كلّه : «هذا إلهنا الذي انتظرناه، وهو يخلّصنا. هذا هو الرب الذي انتظرناه، فلنبتهج ونفرح بخلاصه. يد الرب تستقرّ على هذا الجبل». قدرته تكون حاضرة، وهي تفعل الخلاص الذي تمّ في الماضي من أجل شعب من الشعوب، يتمّ اليوم من أجل الشعوب والأمم.

والوحدة الثانية (آ ١٠ب-١١) أضافها الكاتب الذي شعر أن موآب سوف تستبعد من الوليمة الأخيرة، لأنّها لم تشارك في النصر النهائي. ويكون لها بدل هذا العار المصير الذي لن تستطيع الإفلات منه. وُجد شعور مُعاد في يهوذا تجاه موآب بعد المنفى إلى بابل سنة ٥٨٧، نقرأ عنه في أش ١٦ : ٦-١٤ : ((سمعنا بتكبّر موآب الشديد وتجبّرها وكبريائها)). ولكن الكاتب عمّم هذا الشعور، فوجّهه نحو الأمم المتكبّرة. فإذا أرادت موآب وسائر الأمم أن تكون بين الذين ينعمون بالخلاص، ويشاركون في العيد الذي يعدّه الرب، فليس عليها إلا التواضع والانحناء أمام يد اللّه القديرة.

والوحدة الثالثة (آ ١٢) تتحدث عن دمار حصون موآب، ووسائل الحرب عندها. فلا حرب بعد اليوم بين أمّة وأمّة. لا حاجة الى السلاح. فنعال العدو في المعركة، والثياب الملطّخة بالدماء، قد صارت مأكلاً للنار (أش ٩ : ٤). لا حاجة الى حرب ترفع فيها الأمّة يدها على الأمّة المجاورة، ولا يتعلّمون الحرب، بل هم يحوّلون كل سيف يستعمل للقتل الى سكّة تفلح الأرض، فتجنّب البشر الموت جوعاً، ويحوّلون الرماح إلى المناجل للحصاد (أش ٢ : ٤). وهكذا لن يحتاجوا أن يتعلّموا الحرب من بعد.

خاتمة

ذاك هو العيد الذي يحتفل به رب الأكوان، ويريد البشريّة جميعاً أن تعيّد معه بنشيد الفرح والشكر. تلك هي الوليمة التي يهيّئها اللّه لكلّ الشعوب، وكم يتمنّى أن يشاركوا فيها جميعاً. إلا أنّ هناك من يرفض ويختلق الأعذار. فهو يبقى خارجاً، بل إن دينونة اللّه ستكون رهيبة، لأن اللّه لا يستهزأ به. قدّم حبّه للأمم، وهو ينتظر من هذه الأمم أن تبادله الحب بالحب، فتحترم المواثيق في ما بينها. دعا الشعوب في طواف إلى الجبل المقدّس، حيث يستقبلهم في بيته الذي صار بيتهم. فمن رفض المسيرة سقط وداسته الأقدام كما تدوس الإبل. فلا بدّ من الخيار في هذه المسيرة التي بدأت منذ بداية العالم، وامتدّت في حياة الشعوب القديمة، ووجدت ذروتها في شخص يسوع. هي تعرف مصيرها، بل هي تقرّر هذا المصير. فتكون أورشليم التي تستقبل الرب بتواضع، أو لا سمح اللّه تتشامخ في كبريائها، فتصير مثل موآب.

يومُ السبت

تث ٥:١٢-١٥

الأخت ماري–لويز شهوان

يوم الربّ لقاء الجماعة المؤمنة وتقديم القرابين لله

المقدمة

منذ ما عرف اليهودي تاريخه، عرف «السبت». يوم السبت يعني التوقف عن الاعمال، أي يوم استراحة. لسنا أمام «منع» بل أمام وصية إيجابية. شريعة السبت نجدها في إسرائيل، وتبدو أنها مأخوذة عن الشعوب الأخرى الغابرة– مثل الشعب البابلي– (راجع «السبت» في القاموس البيبلي، عامود ١٢٩٢) التي عرفت يوما للراحة، إنه يوم التطهير واللقاء بالاله. والتوقف عن العمل هو نتيجة لطابع العيد. فالسبت يمثل تكريسا للوقت؛ نضع جانبا، نقدس يوماً من أيام الاسبوع، كما نكرس لله بواكير البشر وأبكارهم. والسبت هو أيضا إمتداد لعيد الفصح. ولكنَّ سفر تثنية الاشتراع يُعطي ليوم السبت معنى أخر وأغنى: إنه الاحتفال الاسبوعي بالتحرير من مصر، (كما سنرى في تث١٥:٥). أما التعطيل عن العمل، فيتخذ معناه على ضوء هذا الواقع التاريخي عينه: نتحرر من العمل، لنؤكد أننا تحررنا من العبودية. نحن أمام توجيه روحي على أساس ديني، كما سنرى في مفهوم «السبت» إستناداً الى ما جاء في تث ١٢:٥–١٥.

١- السبت في نص تث ٥: ١٢-١٥

تثنية الاشتراع هو الكتاب الخامس بين كتب الشريعة، وهو بمثابة القمّة بينها، لا بل إحدى قمم العهد القديم. يتحدثُ عن محبة الله لشعبه ومحبة الشعب لالهه. يتضمن خطب موسى الأخيرة التي يذكّر فيها الشعب بتاريخه مع الله، ويهبه قلباً وروحاً لتقبل الشرائع والأحكام التي يتضمّنها هذا الكتاب؛ كما يشدد على الأمانة الواجبة على الشعب حين يدخل أرض الميعاد، فلا ينسى إلهه.

يقع هذا النص (١٢:٥-١٥) في المقطع الثاني من خطاب موسى الثاني، وهو تذكير بظهورات الرب في حوريب وفي سيناء، وبإعطاء الوصايا والشرائع.

يبدأ موسى بمقدمة فخمة: «اسمع يا اسرائيل»، نقرأها كل مرة يجب على الشعب أن يعود إلى نفسه ليُعلن إيمانه بإلهه، يحذّره بعدها بألاّ يعبد غيره، لأنه هو وحده الغيور عليه ويستحق العبادة. ضمن هذا الاطار تأتي الوصية الرابعة بحفظ يوم السبت:

آ١٢-١٣: **«إحفظ يوم السبت لتقدسه، كما أمرك الرب إلهك، ستة أيام تعمل وتصنع جميع أعمالك».**

اليوم السابع («شبت») هو سنّة إلهية؛ فالله نفسه قد استراح («شَبَت») في ذلك اليوم.

فرزُ يوم السبت وتقديسُه، علامةُ وجودِ الرب بين شعبه، وهو الذي يختاره له، ويقدسه ويرافقه ويبقى معه مدى الأجيال. رغم هذا التدخّل الحميم من قبل الله في تاريخ الشعب، كان هذا الأخير يتمرد وينسى كل المعجزات التي صنعها الرب معه. لذا نرى الأنبياء يذكّرون دائما بحدث تدخل الرب في مسيرة شعبه، وبجميع الوصايا، وبوصية حفظ يوم السبت، كما جاء في حزقيال:

«وأعطيتهم أيضا سبوتي لتكون علامة بيني وبينهم، ليعلموا أنّي انا مقدسهم» (خر ١٢:٢٠).

ويشدد الرب على قدسية يوم السبت ايضا في سفر الخروج، ويكلم موسى بأن يحفظوه:

«إحفظوا سبوتي خاصة، لأنها علامة بيني وبينكم مدى أجيالكم، ليعلموا أنّني أنا الرب مقدسكم؛ فاحفظوا السبت، فإنه مقدس لكم» (خر: ٣١: ١٣ - ١٤ أ).

فتكريس يوم السبت للرب وقداسته صورة لاختيار الشعب وتقديسه إياه. لذا يوبخ الرب الشعب بواسطة موسى، لانه نسي إلهه، فعزم أن يصب غضبه عليه وهم في البرية.

لكن طول أناته حدت به ان يتراجع لئلا يتخاذل شعبُه أمام الامم، ويشمتوا به، ويتمردوا عليه ويتدنس اسمُ الله بسببهم:

«وقدسوا سبوتي، فتكون علامة بيني وبينكم، لكي تعلموا أنّي أنا الرب إلهكم. لكن البنين تمردوا عليّ ولم يسيروا على فرائضي... وانتهكوا سبوتي. فقل: إني أصب غضبي عليهم لأُتمَّ سخطي فيهم في البرية. لكنني رددت يدي، وعملت لاجل اسمي، لئلا يتدنس أمام عيون الامم التي أخرجتهم أمام عيونها» (حز ٢٠: ٢٠ - ٢٢).

وصية السبت تدوم مدى الأجيال، من يتعدّاها يعاقب بالموت كما تكلم الرب في سفر الخروج:

«فاحفظوا السبت، فإنه مقدس لكم؛ من استباحه يقتل قتلا» (خر ٣١: ١٤ - ١٦).

وجاء أيضا في الآية ١٥ ب:

«كل من عمل عملا في يوم السبت يُقتل قتلا. فليحفظ بنو اسرائيل السبت، حافظين إياه مدى أجيالهم عهدا أبديا».

أصبحت وصية السبت شريعة عهد بين الرب وشعبه، تتخطى التوصيات، وتعلو عن المواعظ والشعائر الخارجية الأدبية؛ أصبحت من كيان اليهودي، من مقدساته، ومن مقومات حياته.

«فليحفظ بنو إسرائيل السبت، حافظين إياه مدى أجيالهم عهدا أبديا» (خر١٦: ٣١).

«واليوم السابع، سبت للرب إلهك، فلا تصنع فيه عملاً، أنت وابنك وابنتك، وخادمك، وخادمتك وثورك وحمارك وجميع بهائمك، ونزيلك الذي في داخل مدنك، لكي يستريح خادمك وخادمتك مثلك» (تث ٥: ١٤).

هذه الآية تعدد الاشخاص المعنيين بحفظ يوم السبت: أهل البيت جميعا: الاب، الابن، الابنة، الخادم، الخادمة، البهيمة، والضيف الغريب عندك. نتساءل أين الزوجة؟ لماذا لا يذكرها الكاتب؟ هل تُعتبر أحطّ من الخادم والخادمة، أو حتى من الحيوان؟ أم هناك نظرية إيجابية، كما قيل: إن من يذكر الزوج يذكر ضمنا الزوجة؟، أي أنها هي والزوج يُعتبران شخصا واحدا؟

ولدينا في سفر الخروج توصية في حفظ يوم السبت، تعدّد أهل البيت والنزلاء، دون ذكر المرأة، هي التالية:

«فلا تصنع فيه عملا، أنت وابنك وابنتك، وخادمك وخادمتك، وبهيمتك، ونزيلك الذي في داخل أبوابك» (خر ٢٠: ١٠).

للنزلاء مكانة خاصة في إسرائيل؛ فالآباء كانوا غرباء في أرض كنعان،

منهم أبو الآباء إبراهيم. لما ماتت ساره، و لم يكن لابراهيم قبر يدفنها فيه، كلّم بني حث أن يهبوه قبرا لساره لانه كان نزيلا، غريبا، لا أرض له ولا موطىء قدمين:

«وقام إبراهيم من أمام ميته، وكلّم بني حثّ قائلا: أنا نزيل ومقيم عندكم. أعطوني ملك قبر عندكم فأدفن ميتي من أمام وجهي» (تك ٢٣ : ٣– ٤).

كذلك بنو إسرائيل في مصر كانوا غرباء لا بل عبيدا مستعبدين مدة أجيال اربعة:

«إعلم يقيناً (يقول الرب لأبرام) أن نسلك سيكونون نزلاء في أرض ليست لهم، ويستعبدوهم ويُذلّونهم أربعماية سنة (تك ١٥: ١٣)».

وقد انقلبت المقاييس وتبدلت الظروف والادوار بعد دخول أرض الميعاد؛ فالاسرائيليون أصبحوا هم مواطنين، وهم يضيفون الغرباء النزلاء. بتساوى هؤلاء مع شعب الله، فيخضعون للقوانين والشرائع اليهودية، منها شريعة السبت، والاحتفال بعيد الفصح، شرط أن يختتنوا:

«وأي إنسان أكل جيفة أ فريسة، ابن البلد أو نزيلا، فليغسل ثيابه ويستحم في الماء» (لا ١٥:١٧).

على الإسرائيلي أن يحترم الدخيل والنزيل، وليتذكّر أنه هو أيضا كان أسيرا في مصر عبداً مظلوما فيأمره الرب الاّ يضايقه:

«النزيل فلا تظلمه ولا تضايقه، فإنكم كنتم نزلاء في أرض مصر» (خر: ٢٠: ٢٢).

ويُذكّر أشعيا أيضا بالتوصية عينها، فيقول:

يومُ الربّ، يومُ تقدمةِ الذبائح

«وبنو الغريب المنضمون إلى الرب ليخدموه، ويحبوا اسم الرب ويكونوا له عبيدا، كل من حافظ على السبت ولم ينتهكه، وتمسّك بعهدي، آتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مرضية، أن بيتي بيت صلاة يدعي لجميع الشعوب» (اش ٥٦: ٦–٧).

هذا الكلام، الذي يستشهد به يسوع في ظروف خطيرة من حياته (مت ٢١: ١٣)، ينبىء بشيء جديد مزدوج، وهو أن الصلاة أعظم من الذبائح، حتى في الهيكل، وان جميع الشعوب مدعوة اليها:

«وقال: جاء في الكتاب: سيُدعى بيتي بيت صلاة، وأنتم مغارة للصوص تجعلونه» (مت ٢١: ١٣).

ينهي الرب عن أي عمل يوم السبت، فهو يعطي المنّ في اليوم السادس ما يكفي ليومين، وينهي أيضا حتّى عن المشي مسافات طويلة لئلا يضيع النهار، كما جاء في خر ١٦:٢٩ :

«أُنظروا: إن الرب أعطاكم السبت، ولذلك هو يعطيكم في اليوم السادس طعام يومين. فليبق كل واحد حيث هو، ولا يبرح أحد مكانه في اليوم السابع».

«واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر، فأخرجك الرب الهك من هناك بيد قوية وذراع مبسوطة، ولذلك أمرك الرب الهك بأن تحفظ يوم السبت» (تث ٥: ١٥).

أما في تث ٥:١٥ فيختلف الداعي الى السبت عما هو في سفر الخروج، حيث

استراح الرب يوم السبت وباركه وقدسه: السبت مرتبط هنا بالتحرر من عبودية مصر، مما يضفي عليه طابعاً ذا شقين:

أولاً: يصبح يومَ فرح، كما في الأسابيع (تث ١٦: ١١ -١٢)، حيث يأمر الرب الشعب أن يفرح مع جميع أفراد عائلته وحاشيته، إضافة إلى اليتيم والأرملة واللاّوي، دون ذكر المرأة هنا أيضا. ثم يذكّرُه بأنّه كان عبداً في مصر وحرّره. يربط سفر تثنية الاشتراع هنا شريعة السبت بالتحرير من العبودية في مصر، حيث لم يكن لهم عطلة اسبوعية، فيعيشون دوماً في رتابة العمل اليومي. وهكذا، فتنظيم يوم السبت يدل على الحرية من جور الفراعنة وعبوديتهم، ويربطهم بسلطان الله وعبادته. لهذا يصبح السبت عطية مجانية من الرب لشعبه، ودليلاً على حنانه ورحمته لهم.

ثانياً: هو يومٌ يُعفى الخدام والعبيد من عمل الخدمة. هذا الأمر تشريع لصالح الفقراء والعبيد، لانه كما كان الاسرائيلي عبداً في مصر وحرّره الرب، كذلك عليه ان يحرّر عبيده وجواريه يوم السبت ليرتاحوا مثله.

صلاة السبت

الصلاة، هي العمل الوحيد يوم السبت، وتقسم الى ثلاث مراحل:

١ - تبدأ بسرد تاريخ شعب الله، وإبراز الكرازة الاشتراعية لمواضيعها الاساسية:

أ - سرّ الله تجلى عبر تاريخ شعبه؛ فهو «الاله الاوحد» وما عداه فهو من صنع أيدي البشر:

«إسمع يا اسرائيل: إن الربّ الهنا هو ربّ واحد، فأحِب الرب الهك» (تث ٦).

ب - سر الله تجلى أيضا في اختياره شعبًا له: بنو اسرائيل حصة الربّ وشعب مقدس، وهو الذي حفظهم في مصر وخلّصهم من محنتهم، فأخرجهم من العبودية:

«ثم تتكلم فتقول أمام الرب إلهك : إنّ أبي كان أراميًا تائهًا، فنزل الى مصر، وأقام هناك مع رجال قلائل... وافرح بكل الخير الذي أعطاه الرب الهك لك ولبيتك، أنت واللاّوي والنزيل في وسطك» (تث ٢٦: ١٥ - ١١).

ان إعلان الإيمان لنقرأه في هذه الآيات هو فريد من نوعه في أسفار التوراة، وهو ذو مضمون تاريخي. والأحداث الواردة هي ملخّص لما ورد في أسفار موسى الخمسة.

تذكّرنا العبارة **«إن ابي كان أراميا»**، بيعقوب، وقد كانت أمّه من أرام النهرين، وكان تائها، ترك مدينة آبائه، و لم يجد مكانا ثابتا. ما يهمّ الكاتب في هذا المقطع هو أن يقابل بين تيهان الآباء والعبودية في مصر، وبين امتلاك أرض هي هدية من الرب.

٢ - **المزامير**: بعد سرد الاحداث التاريخية، تُتلى المزامير المناسبة منها للتمجيد وأخرى لاظهار عظمة الرب لشعبه، مثلا مزمور ٩٣ الذي كان يُنشد «عشية السبت: يَظهر في هذا المزمور جلالُ الرب وملكُه على الكون. هناك مزامير تدعو الى الشكر لما أغدق الربُ على شعبه من خيرات. أما مزامير الحمد فتبدأ كلها بعبارة:

«أيها الرب إلهنا، ما أعظم اسمك في كل الارض!» (مز ٨ و١٩ و٣٣).

المزامير تصبح صلاة الشعب، كلها تتوجه الى الرب الصديق الحميم، بادر هو، الى الحوار، فاختاره شعبه ودفعه الى طرق الحياة.

نرى في المزامير المختارة ليوم السبت ذكرا لاسم الرب متواترا، لأن الاسرائيلي يشعر وهو يتلوها، بأنوار الله تنير أرجاءه، وتبدد أحزانه وتبعث فيه الأمل للإلتقاء بخالقه. حينئذ يزداد اندفاعاً وحماسا؛ فهو صوفيٌّ يهذّ بذكر الله ويتأمل بمعجزاته في الكون، كما يتذكّر صنيعه معه منذ أجيال.

المزامير، صلاة شعب «العهد»، وصلاة الشعب المسيحاني، لأن الروح يهبُّ فيها.

٣ - **القراءات**: الأساسية منها قراءة التوراة أي «كتب الشريعة الخمسة». عناوينها تشير الى محتوياتها؛ فهناك تكوين السماء والارض والانسان، «الخروج» بني اسرائيل من مصر بعد عبودية دامت أربعماية سنة. يجيء دور اللاّويين في التشريع؛ سفر «العدد» يعدد أسباط اسرائيل؛ «تثنية الاشتراع» هي تكرار للشريعة، وتنهي حياة موسى كليم الله بثلاث خطب مثيرة بعدما أوصل شعبه الى مقابل ارض الميعاد (و لم يدخلها هو).

بعد تلاوة أهم النصوص من كتب التوراة، تأتي العظة التي يلقيها كبير القوم أو «الكتوبين» المخصص لشرح الوصايا والأحكام والفرائض. تأتي بعدها الطلبات والبركات الموعود بها، شرط أن يسمع اسرائيل الوصايا ويعمل بها:

«يجعلك الربّ فوق جميع أمم الأرض وتحل

عليك هذه البركات كلّها» (تث ٢٨: ١-٢).

هذه البركات علامة رضى الرب. وتنتهي بالسلام للشعب كما في المز ١٢٨: ١ و ٥ و ٦:

«طوبى لجميع الذين يتقون الرب... ليباركك الرب من صهيون... والسلام على إسرائيل!».

في هذه النهاية، السنا أمام سلام شبيه بالذي يُدرجهُ بولس الرسول في آخر رسائله؟

الأعمال المحرّمة يوم السبت

هذه الاعمال تعد بالعشرات، وتشمل جميع القطاعات الحياتية: منها **زراعية** كالفلاحة والحصاد والذري ودرس الحبوب وطحنها، ونشر الصوف؛ **بيتية**، مثل الطبخ (الذي يجب ان يحضّر يوم الجمعة)، أو حياكة الصوف أو عقد الخيطان؛ أو **حيوانية** مثل سلخ بهيمة وتصنيع جلدها؛ **ثقافية**، فلا يجوز كتابة إلاّ رسالة واحدة، في اليد اليمنى أو في اليد اليسرى، حتى ولو كانت الرسائل مختلفة، لا كتابة بمداد جامد لانه لا يمحى مثل الحبر الملون او الطبشور أو الصمغ... مسموح الكتابة على سائل دسم، على عصير الفواكه، على التراب على قارعة الطريق، على الرمل وعلى الماء لانها كلها لا تحفظ الكتابة.

الأشياء المسموحة

الاعمال داخل الهيكل حيث يمارس الكهنة وظائفهم، كإشعال المصابيح، تهيئة القرابين وتقديمها... مسموح تخليص إنسان أمام خطر الموت أو مساعدة إمرأة عند ولادتها. وفي حال انهيار حائط، لا تمنع شريعة السبت إسعاف المصاب أو نشله لمداواته، أما إذا كان مائتاً فيُترك للغد. أما التهيئة ليوم السبت فلها قواعدها وتحضيراتها؛ في الهيكل يقوم بها الكاهن، وفي البيت يهتم ربُّ العائلة في ترتيبها.

الخاتمة

يوم السبت هو يوم حضور الرب («شكينَه») في الهيكل وفي وسط شعبه يتعدى هذا الحضور المكان، حتى بعد هدم هيكل أورشليم ووقف الذبائح، فلقد بقيت الـ «شكينه» جوهر اللقاء يوم السبت، لانها خدمة في القلب «لا على الدرب» (مثلٌ شعبي). حضور الله دائم وشريعة السبت تتعدى الهيكل. اللقاء بالرب يوم السبت حميم جدّا. هناك المثلث اليهودي: **الله** – التوراة – الشعب. ففي وصية موسى الاخيرة لهذه الحياة بالله الحميمة، نقرأ ما يلي:

«وأما أنتم المتعلقون بالرب الهكم، فكلكم أحياء اليوم» (تث ٤: ٤)،

وفي هذا تجسيد لما يعيشه اليهودي في صلاته يوم السبت من شعور واتحاد عميق بالله.

أليست صلاة يسوع الأخيرة لأجل الوحدة بينه وبين تلاميذه والآب **صدى** آتٍ من بعيد، من غابر الزمان، من أعماق الكون، من أسفار العهد القديم، من التوراة والأنبياء، ومن أعماق هؤلاء المتدينين الغائصين في الله؟ جاء في يو ١٧: ٢١:

«لكي يتحدوا جميعا، أيها الآب، وحدتك بي، ووحدتي بك، فيكونوا هم أيضا فينا، ويؤمن العالم أنك أنت أرسلتني».

راجع:

الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٤.

الكتاب المقدّس، إونغليون، العهد الجديد، الكسليك، لبنان، ١٩٩٢.

الخوري بولس الفغالي، **المدخل إلى الكتاب المقدّس**، الجزءان الثاني والثالث، المجموعة الكتابيّة، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٥.

الخوري بولس الفغالي، **القراءة المسيحيّة للعهد القديم**، دراسات بيبليّة، عدد ١، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٩١.

الخوري بولس الفغالي، **من سيناء إلى موآب أو سفر العدد وسفر التثنية**، المجموعة الكتابيّة، عدد ٤، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٦.

الخوري بولس الفغالي، **من العبوديّة إلى العبادة**، المجموعة الكتابيّة، عدد ٣، منشورات المكتبة البولسيّة، لبنان، ١٩٩٠.

F. Pierre LENHARDT, "La Prière Juive d'Autrefois et d'Aujourd'hui", *Revue Notre Vie Liturgique. Études inter-religieuses*, 5 (2000).

J. DHEILLY, *Dictionnaire Biblique*, (Desclée: Paris, 1964).

AAVV., *Vocabulaire de Théologie Biblique* (Cerf: Paris, 1970).

"Sabbat", Dictionnaire de la Bible, t. 9, col. 1290-1302.

AAVV., *Le Shabbat dans la conscience Juive* (PUF: Paris, 1975).

«هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ تعالوا نسرّ ونفرح فيه» (مز ١١٨:٢٤)

الخوري يوسف فخري

يختتم المزمور ١١٨ سلسلة أناشيد (مز ١١٣–١١٨) سُمّيت بـ «الهلّل الكبير»، أو «الهلّل المصري» (نسبة إلى مز ١١٤:١ = عند خروج اسرائيل من مصر...) التي ينشدها شعب اسرائيل في أعياده الكبيرة: الفصح، العنصرة، والمظال، وفي زمن متأخّر، في عيدي التجديد (חֲנֻכָּה – «حَنُوكَه»)، عيد الأنوار؛ ١ مك ٤:٣٦–٥٩؛ يو ١٠:٢٢)، ورأس الشهر (חֹדֶשׁ – «حُدِش»، أوّل القمر، أش ١:١٣؛ عا ٨:٥). ولقد كان لـ «الهلل الكبير» دورٌ رئيسيٌّ في ليتورجية الهيكل الثاني، خاصّة في عيدَي الفصح والتجديد.

ففي ليلة الفصح، تتّكئ العائلة حول المائدة، يقوم رب البيت فيتناول كأس الخمر الأوّل الممزوج بالماء، ويرفعها، ويبارك الربّ، ثمّ يشرب منها، وكذا يفعل الحاضرون كلّ بدوره. وبعد غسل اليد اليمنى، يأكل الجميع الأعشاب المرّة، ثمّ يفسّر رب البيت معنى عيد الفصح (العبور، الأعشاب المرّة، خبز الفطير، الحمل الفصحي...)؛ وفي نهاية حديثه ينشد الجميع القسم الأوّل من «الهلّل الكبير»، أي المزمورَين ١١٣ و١١٤. ثمّ يشربون الكأس الثانية. بعد هذه المراسيم الافتتاحيّة، يغسل كل الحاضرين أيديهم، ثمّ يأخذ رب البيت الخبز الفطير (מַצּוֹת ، أو «مَصَّوْت» Ἄζυμα)، ويباركه، ويكسره، ويعطي الحاضرين. عند ذلك يؤكل الحمل الفصحي، وتُشرب الكأس الثالثة التي تُسمَّى «كأس البركة» (مز ١١٦:١٣). في نهاية العشاء ينشد الجميع القسم الأخير من «الهلل الكبير»، أي المزامير ١١٥–١١٨). وينتهي العشاء الفصحي بشرب الكأس الرابعة الختاميّة. في هذا الاطار يقول التلمود: «الفصح طيّب مثل الزيتون، وعلى الهلّل أن يثقب سطوح البيوت». ولقد أنشد يسوع والرسل «الهلّل الكبير» بعد العشاء الأخير: «ثمّ سبّحوا (أي رتّلوا الهلل الكبير) وخرجوا إلى جبل الزيتون» (مت ٢٦:٣٠؛ مر ١٤:٢٦).

عيد التجديد (חֲנֻכָּה – «حَنُوكَه»)، هو ذكرى تطهير الهيكل على يد يهوذا المكّابي في ٢٥ كانون الأوّل سنة ١٦٤ ق. م. يدوم العيد ثمانية أيّام، تُضاء فيه الأنوار في الهيكل والبيوت. كانت تُقام في هذا العيد التطوافات الدينيّة، فيحمل الشعب الأغصان الخضراء («ألشِمْرَاخ»)، وسعف النخل، ويصعد إلى الهيكل، فيطوف المؤمنون حول المذبح ملوّحين بسعف النخل ومنشدين الهلل الكبير: «زيّنوا المواكب والأغصان في أيديكم حتى قرون المذبح» (مز ١١٨:٢٧). وكان يُنشد «الهلّل الكبير» في أعياد أخرى أيضاً، وذلك بحسب ليتورجيّة كلّ عيد ومناسبة دينيّة.

١ – المزمور ١١٨

هذا المزمور هو نشيد شكر احتفالي يتضمّن ليتورجيّة يشترك فيها ثلاث مجموعات تؤلّف جماعة شعب اللّه: «بيت اسرائيل» (آ ٢)، أي عامّة الشعب؛ «بيت هارون» (آ ٣)، أي الكهنة؛ و«المتقون للرب» (آ ٤)، أي الوثنيّون المتعاطفون مع اليهود وتقاليدهم (مثل كورنيليوس، أع ١٠:٥)؛ بعد الجلاء، أصبحت عبارة «المتّقون للرب» تعني «فقراء يهوه» (עַנְוֵי יְהוָה – «عَنَويِمْ يَهْوِه»). يُنشد هذا المزمور خلال احتفالات طقسيّة، وعلى دفعتين: آ ١–١٨ وآ ١٩–٢٩:

القسم الأوّل (آ ١–١٨)، هو نداء إلى الجماعة لتمدح الرب وتشكره (תּוֹדָה – «تُودَه»)، وفيه حوار بين المرتّل والشعب. يقول المرتّل : «اعترفوا للرب لأنّه صالح». يردّ الشعب : «لأنّ إلى الأبد رحمته» (آ ١)؛ وهكذا في باقي الآيات. يرتّل المؤمنون هذا القسم وهم صاعدون في تطواف طقسيّ إلى الهيكل. أمّا القسم الثاني (آ ١٩–٢٩) فيُرتَّل على باب الهيكل، ثمّ حول المذبح، وهو صلاة شكر (תּוֹדָה) أيضاً وحوار بين المرتّل والشعب والكهنة.

يُطرَح السؤال : أي حدث تاريخي يُحيي ذكراه هذا المزمور ؟ هل حدث الخروج ؟ هل العودة من السبي البابلي سنة ٥٣٨ ق. م. ؟ هل عيد تدشين أسوار أورشليم التي رمّمها نحميا سنة ٤٤٤ ق. م. (نح ٨:١٣–١٨ و١٢:٢٧–٢٨) ؟ هل ذكرى تطهير الهيكل وتدشين المذبح على يد يهوذا المكّابي سنة ١٦٤ ق. م. (١ مك ٤:٣٦–٥٩) ؟ أم ذكرى الانتصار على نِكانور سنة ١٦٠ ق. م.(١ مك ٧:٤٣–٤٧) ؟ يُجمع أكثريّة العلماء على أن المزمور ١١٨ يُحيي ذكرى تدشين أسوار أورشليم المرمّمة على يد نحميا سنة ٤٤٤ ق. م.، في عيد المظال، وذلك لعدّة معطيات، أهمّها : إنّ ردود الفعل السلبيّة التي أظهرها أعداء اليهود ضد نحميا، والعقبات التي وضعوها أمامه عندما باشر بترميم أسوار أورشليم في زمن الهيكل الثاني (نح ٤:١–٣ و٦–٨؛ ٦:١–١٤)، نلقى صداها في مز ١١٨:٥–٧ و١٠–١٢).

يقول الأب العالم De Vaux : إنّ مز ١١٨ يعود في الأصل إلى زمن تكريس الهيكل الثاني سنة ٥١٦ ق. م. (عز ٦:١٣–١٨؛ في أيّام زربابل بن شألتئيل الحاكم، ويشوع بن يوصاداق عظيم الكهنة، والنبيَّين حجّاي وزكريّا الثاني)؛ ولكن عندما دشّن نحميا أورشليم المرمّمة، في عيد المظال، سنة ٤٤٤ ق. م.، أُعيدت صياغة المزمور على ضوء ذلك الحدث، وزيدت عليه بعض الآيات، خاصّة آ ١٠–١٢ و٢٧.

ولقد وجد يهوذا المكّابي في مز ١١٨ أجمل لوحة شعريّة تعبّر عن فرحته في تطهير الهيكل يوم عيد التجديد («حَنُوكَه»)، سنة ١٦٤ ق. م.، خاصّة آ ٥ و٢٧ اللّتين تعبّران أفضل تعبير عن تلك الفرحة.

٢– «يوم الرب»

عبارة «اليوم » (הַיּוֹם – «هَيُّومْ»)، أو «يوم الرب» (יוֹם יְהוָה – «يومْ يَهْوِه») (في السبعينيّة ημερα η أو ημερα του κυριου)، وترد كثيراً في العهد القديم (حوالي ١٨٠٠ مرّة)، ولها معنيان : الأوّل، وهو اليوم الذي يدخل فيه اللّه التاريخ، وينتصر على أعدائه؛ الثاني، وهو اليوم المقدّس، والمكرّس لعبادة اللّه. المعنيان متلازمان، لأن يوم العبادة هو اليوم المقدّس والمكرّس لعبادة اللّه. المعنيان متلازمان، لأن يوم العبادة هو اليوم الذي نحيي فيه ذكرى تدخّل اللّه في التاريخ لخلاص شعبه والمسكونة. ويُسمّى أيضاً «ذلك اليوم» (יוֹם הַהוּא – «يُومْ هَهُو»)، ويدلّ على زمن (في الماضي أو في المستقبل) يظهر اللّه فيه قوّته ومجده، فيجازي الأشرار ويكافيء الأبرار (عد ١٠:٣٢؛ أش ٩:٢٥؛ ١:٢٦؛ ١ أخ ٢٢:٢٩). ولقد أخذ «اليوم» بُعداً رمزيّاً»، فأصبح يوم النور والبركة والسعادة لأصفيائه (عا ١٨:٥–٢٠)، أي اليوم الذي يتجلّى فيه الرب كمخلّص لشعبه ومنتقم من أعدائه (عو آ ١٥؛ زك ١٢:١–ي). لكنّ عاموس النبي (القرن الثامن ق. م.) عارض هذا المعتقد، وبيّن أنّ «اختيار اسرائيل» ليس ضمانة للشعب المختار تجنّبه عدالة الرب ومجازاته. فـ«يوم الرب» هو اليوم الذي يدين فيه اللّه المسكونة كلّها (بما في ذلك اسرائيل ويهوذا) بالعدل والحق، فيحمل الخلاص للصديقين، والمجازاة للفاجرين. ورأى الأنبياء أنّ «يوم الرب» هو يوم عقاب للمتشامخين (أش ٢:٦–٢٢)، ويوم إبادة للوثنيّة (صف ١:٧، ١٤)، ويوم حرب وقتال لا يفلت منه إلاّ الصدّيق التائب (يؤ ١:١٥؛ ٢:١ و١١). كما رأى فيه يوئيل النبي اليوم الذي يضرب فيه يهوه يهوذا (يؤ ٣:٤) وكلّ أعدائه (يؤ ٤:١٢–١٥ و١٩)، ويخلّص صهيون (يؤ ٣:٥؛ ٤:١٦–٢١) وكلّ الذين يدعون باسم الرب (يؤ ٣:٥). أمّا زكريّا فرأى فيه يوم خلاص البقيّة الباقية من شعب اللّه (زك ١٤)، ويوم التنقية والتصفية كما يصفّى الذهب (ملا ٣:٢–٥ و١٩–٢١). باختصار، يقول Y. Hoffmann إنّ «يوم الرب» هو اليوم الذي يتدخّل فيه اللّه الخالق في التاريخ ليضع حدّاً «للعدميّة» (תֹּהוּ וָבֹהוּ – «تُهُو وَبُهُو»؛ تك ١:٢) التي تهدّد المسكونة كلّها «بالخلاء والخواء»، أي العودة بها إلى زمن الفوضى البدائيّة (تك ١:١–٢).

انطلاقاً من هذا المفهوم اللاهوتي، غدا «يوم الرب» يوم انتصار اللّه الخالق على العدميّة والضياع، يوم انتصار «النظام» على «الفوضى»، و«الحياة» على «الخلاء والخواء». ولقد رأى اللاهوت الكتابي

في هذا التدخّل الالهي الأوّل في تاريخ البشريّة (سفر التكوين)، أساساً لكلّ تدخلات اللّه الخلاصيّة في تاريخ شعبه، فأصبح كلّ حدث من أحداث ذلك التاريخ (الخروج، المسيرة في الصحراء، إعطاء الشريعة، الخ) زمناً تتجلّى فيه القدرة الإلهيّة، فتقضي على عالم العدم والموت، وتمنح الخلاص للمختارين. لهذا، أحيا إسرائيل ذكرى تلك الأحداث بالفرح والمجد، لأنّها أزمنة مقدّسة حصل فيها على الخلاص عبر تاريخه، فأصبحت تلك الأحداث الخلاصيّة أيّاماً مقدّسة، أو بعبارة أخرى: «اليوم» أو «يوم الرب» ! هذا ما دفع صاحب المزمور إلى أن يطلق صرخة فرحه في كل ذكرى تخلّد تلك الأحداث:

«هذا هو اليوم الذي صنعه الرب تعالوا نسرّ ونفرح فيه» (مز ١١٨: ٢٤) !

٣ – «هذا هو اليوم !»

قلنا إنّ هذا المزمور أُنشد في مناسبات عدّة، فانطلق المؤمنون من اختبارات خاصّة لأحداث معيّنة (الخروج، إعطاء الشريعة، المسيرة في الصحراء، تدشين أسوار أورشليم سنة ٤٤٤ ق. م.، تطهير الهيكل سنة ١٦٤ ق. م.)، ليبيّنوا رحمة اللّه. وهذا الخلاص الذي تمّ لأفراد أو لجماعة، إنّما ينبع من الخلاص العظيم الذي حصل عليه الشعب كلّه. فالخبرة الفرديّة للخلاص تصبح خبرة جماعيّة لكلّ أبناء شعب اللّه.

ما اختبره الآباء سابقاً يختبره الأبناء حاضراً، وهكذا يصبح تاريخ الخلاص، بخبراته وأحداثه الفرديّة والجماعيّة، تاريخاً واحداً لشعب واحد. لهذا، يصعد الشعب إلى الهيكل ليعيش – من خلال الليتورجيا – «الخلاص» الذي يتمّ له في حياته. فيعبّر عن شكره للّه بهتاف يردّده مع الكهنة: «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب...» (مز ١١٨: ٢٤)، ويزيد على ذلك صرخة الخلاص: «هوشعنا» (הוֹשִׁיעָה נָּא – «هُوشِيعْ-نَا»)، أي «يا ربّ خلّصنا» (آ ٢٥). وهكذا تنعش الليتورجيا في قلب المؤمن شعلة الايمان بحاضر ومستقبل زاهرَين يُعدّهما اللّه لشعبه. فكما خلّص اللّه الآباء في الماضي وأزال عنهم كلّ أشكال العبوديّة، كذلك هو قادر أنّ يخلّص الأبناء اليوم أيضاً. لقد أصبح «اليوم» الجسر الذي يعبر عليه الماضي نحو الحاضر والمستقبل. وهكذا يصبح «اليوم» ملتقى الزمان بماضيه وحاضره ومستقبله، لا بل يصبح «زمناً مقدّسا» يلتقي فيه شعب اللّه مع إلهه وخالقه في حدث خلاصي تحريري يملأ صداه رحاب الزمان. وصرخة الفرح: «هوذا اليوم الذي صنعه الرب... هوشعنا» (آ ٢٤–٢٥) تصبح تأويناً لتلك الأحداث التاريخيّة الخلاصيّة، لا بل دعوة موجّهة إلى اللّه ليُظهر مجده كما أظهره في الماضي، فيصبح «يوم الأمس الخلاصي» هو «يوم الآن» و«يوم الغد» حتى نهاية الأزمنة.

الخاتمة

لقد أعطت الليتورجيا اليهوديّة مكاناً رئيسيّاً للمزمور ١١٨، فأنشدته في الأعياد الكبيرة، وخاصّة في أعياد المظال والتجديد والفصح. أنشده يسوع مع رسله (مر ١٤: ٢٦) بعد العشاء السرّي وقبل أن يذهب إلى جبل الزيتون ليلة موته. ولقد خاطب مار بطرس رؤساء الشعب والشيوخ قائلاً لهم: «هذا هو الحجر الذي رفضتموه، أيّها البنّاؤون، فصار رأس الزاوية» (أع ٤: ١١؛ مز ١١٨: ٢٢). ولقد ذكر مار بطرس أيضاً هذا الحجر، فكتب في رسالته الأولى: «فاقتربوا من الرب، فهو الحجر الحي المرفوض عند الناس...» (١ بط ٢: ٤–١٠). ويقول الأب جان دانيالو (J. Daniélou)، إنّ الجماعة الأولى كانت تختم صلواتها الأفخارستيّة يوم الأحد بعبارات ليتورجيّة ثلاث: الأولى، «هذا هو اليوم الذي صنعه الرب... هوشعنا» (مز ١١٨: ٢٤–٢٥)؛ الثانية، «مارانتا» (رؤ ٢٢: ٢٠)؛ والثالثة، «آمين» (٢ كور ١: ٢٠؛ رؤ ٣: ١٤). لهذا كان مز ١١٨ نشيد الكنيسة لـ «يوم الرب»، «يوم الأحد»، الذي هو تذكّر أسبوعي لعيد الفصح والقيامة.

راجع:

الخوري بولس الفغالي، **«هلّلوا للرب من السماوات»** (مز ١٠١–١٥٠)، (الرابطة الكتابيّة، سلسلة القراءة الربيّة رقم ١١، جونيه، لبنان).

Louis JACQUET, *Les Psaumes et le cœur de l'homme*, Tome III, Duculot, Belgique, 1979.

X. LEON-DUFOUR, *Résurrection de Jésus et message pascal*, Paris, 1971.

Dictionnaire Encyclopédique de la Bible, Brepols, 1987.

Y. HOFFMANN, *The Day of the Lord as a Concept and a Term in the Prophetic Literature*, New York, 1981.

R. DE VAUX, *Les Institutions de l'A. T.*, Tome II, Cerf, Paris, 1982.

Jean DANIÉLOU, *Le Judéo-Christianisme*, Institut Catholique de Paris, Paris, 1980.

«هذا هو اليوم الذي صنعه الربّ، تعالَوا نُسَرُّ ونفرح فيه» (مز ١١٨: ٢٤)

داود مع العازفين والمرنّمين للربّ: إيتان، يدوتون، هامان، وأساف

(منمنمة من القرن الحادي عشر، مكتبة الفاتيكان)

«هذا اليوم يومٌ مقدسٌ للربّ»
(نح ٨: ١٠-١١)

الخوري بولس الفغالي

إذا أردنا أن نعرف كيف كان اليهود يصلّون في زمن المنفى وبعده، ساعة صار الهيكل بعيداً، والذبائح توقّفت، نعود الى ما نقرأه في سفر نحميا : «وقف الجميع، فبارك الكاهن عزرا الرب، فأجاب الشعب كلّه : آمين! آمين!» ما الذي يدلّ على انتماء المؤمنين الى شعب اللّه الواحد الذي كان مركزه في أورشليم، قبل دمار المدينة وتهجير سكّانها سنة ٥٨٧ ق. م. ؟ هناك الختان بلا شك، وهناك بشكل خاص الاجتماع الأسبوعي في المجامع التي توزعت في المدن العديدة، وهذا الاجتماع يتمّ في يوم محدّد، هو يوم الرب؛ يسمّيه النص : «يوم مقدّس» (عز ٨: ٩ و ١١).

١- قراءة الشريعة

جاء نح ٨ بعد عز ٧-٨ على المستوى الأزماني، فرسم حدثاً رئيسيّاً، هو إعلان الشريعة التي حملها عزرا الى أورشليم، وذلك بعد وصوله بشهرين. فنحن نقرأ في عز ٧: ٨-٩: «في السنة السابعة للملك أرتحششتا (أي سنة ٣٩٧ ق. م.)، وصل (عزرا) الى أورشليم في الشهر الخامس (تموز-آب)». اليوم الأول في الشهر السابع، كان عيد رأس السنة في روزنامة (كلندار) تلك الحقبة. وهكذا انتظر عزرا يوم العيد ذاك ليتلو الشريعة أمام الشعب كلّه.

يقسم نح ٨ هذا إلى قسمين : يرسم القسم الأول (آ ١-١٢) مشهداً فيه يقرأ عزرا واللاويون جزءاً من الشريعة، في اليوم الأول من أيام العيد. والقسم الثاني (آ ١٣-١٨) يرسم ما حدث في الأيّام التالية للاحتفال بعيد المظال. قدّم القسم الأوّل احتفالاً ليتورجيّاً وشعيرة عبادة، ستصبح نموذجاً لدى يهود الشتات، بانتظار أن تُبنى المجامع في فلسطين (لو ٤: ١٦-٢٧)، بل في أورشليم نفسها. لسنا بعد في مبنى يضمّ المصلّين الذين لا يقلّ عددهم عن عشرة رجال، بل في الهواء الطلق. وقد جُعل للمناسبة «منبر» من خشب، وقف عليه القارئ لكي يراه الجميع ويصل صوته الى الحاضرين. وقبل أن يفتح القارئ كتاب الشريعة، كانت عبارة المباركة التي وجهها عزرا الى الرب العظيم (آ ٦) : «تبارك الرب إله آبائنا» (عز ٧: ٢٧). وكان الشعب واقفاً تجاه المنصّة، فأجاب بصوت واحد : «آمين! آمين!» لا

يوم العيد هو مناسبة
لقراءة كلمة الرب والتأمل فيها

يذكر الكاتب الصلاة التي تُليت في ذلك الوقت (قد تكون شبيهة بصلوات عديدة اعتاد الكهنة أن يتلوها في يوم السبت)، بل يذكر الحركات التي قام بها الحاضرون، علامة عن مشاركتهم في الصلاة : رفعوا أيديهم يطلبون؛ ركعوا أمام الرب خاشعين؛ سجدوا للرب بوجوههم إلى الأرض ليدلّوا على خطيئتهم أمام اللّه القدوس. وبعد ذلك الاستعداد، بدأوا يتلون الشريعة، كما هي في أسفار موسى الخمسة، وقد صارت دستور الشعب اليهودي، تجاه دستور الشعوب التي حرّرها الفرس، وأعادوها الى بلادها بعد أن احتلّ كورش بابل.

نشير الى أن تلاوة الشريعة امتدت على سبعة أيّام. في معنى أوّل، احتاج الشعب الى كل هذا الوقت، لأنّه مضى عليه زمن طويل ترك فيها قراءة أسفار موسى. فلو ظلّ يقرأها سبتاً بعد سبت، لما احتاج الى سبعة أيّام متتالية. وفي معنى ثانٍ، العدد سبعة هو عدد الكمال؛ هذا يعني أنّ الحاضرين قرأوها كلّها وفهموها، فلم يبق لهم سوى أن يمارسوها. وهذا ما نراه في ما بعد مع الزواجات المختلطة بين يهود وغير يهود.

اجتمع الشعب كلّه. هذا ما يرتبط بالمعنى العبري («عِدَهْ») للمجمع : تواعد ولقاء. شهادة يقدّمها جمهور كامل، فيدل على عهده مع الرب وتعلّقه به. اجتمع من أجل العيد. فالرب هو الذي يبادر ويدعو المؤمنين، وهم حين يأتون إنّما يلبّون النداء. يكونون معاً، في مكان واحد. وحضورهم الخارجي معاً يدلّ على مشاركتهم وتضامنهم في حياة واحدة وعمل واحد. هذا ما يذكّرنا بالجماعة الأولى في أورشليم : «كان جميع المؤمنين معاً ... يلازمون الهيكل بنفس واحدة» (أع ٢:٤٤-٤٦). كان اليهود يجتمعون في يوم من أيام الاسبوع، هو السبت، يوم الراحة، فصار المسيحيّون يجتمعون يوم الأحد الذي هو يوم قيامة الرب من بين الأموات وحلول الروح القدس.

٢- يوم مقدّس

بكى الشعب عند سماع كلام الشريعة، ولا سيّما حين سمعوا من يترجمها لهم ليفهموها؛ بكوا وضعهم السابق، بعد أن نسوا كلام الرب الذي أوصله الى شعبه منذ ظهوره في جبل سيناء. فدعا عزرا واللاويون الشعب أن يمتنعوا عن البكاء، فهذا اليوم يوم مقدس، يوم مكرّس للربّ. وهكذا عادوا الى الوصايا العشر : «قدّس يوم الرب».

نتذكّر أوّلاً معنى «اليوم»؛ ففي تاريخ الشعب العبري، ترتبط الأيّام دوماً بأعمال اللّه في شعبه، وهي أعمال خلاص وبركة. مثلاً، تحدّث مي ٧:١٤ عن الأيام القديمة، فأشار الى زمن تحرير الشعب من مصر. وأشار أشعيا الى الفرح الذي ينتظر الشعب، بعد زوال الظلام (احتلال الأرض على يد الأشوريين وانطفاء كل نور)، وحلول النور (بعد أن عاد العدو الى أرضه بقدرة اللّه)، وذكرهم بيوم مديان، وفيه انتصر جدعون على الذين اجتاحوا البلاد ودمّروا وخرّبوا.

و«يوم الرب»، في المفهوم البيبلي، هو يوم يفتقد فيه اللّه شعبه، فيحمل اليه السعادة والبركة، ولكن هذا المفهوم تبدّل بعد عا ٥:١٨-٢٠، وذلك بسبب خطيئة الشعب. غير أنّ النهاية سوف تبدّل الأمور : «ها أيام تأتي، يقول الرب، يلحق فيها الفالح بالحاصد، ودائس العنب بباذر الزرع، وتقطر الجبال خمراً، وتسيل جميع التلال» (عا ٩:١٣).

ويقول النص في نح ٨:٩ و١١ : «اليوم هو يوم مقدس». هذا اليوم الذي نعيشه الآن. نحن لا نعود الي الماضي الذي لم يعد في أيدينا، بل نسمع اليوم كلام الرب يقول لنا : «إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم» (مز ٩٥:٧-٨).

«هذا اليوم مقدس»، أي مكرّس للربّ. وحين يحفظ الانسان هذا اليوم، يقتدي باللّه الذي قدّس هذا اليوم، في بداية الكون، ليكون خاتمة الأيام الستّة. وحين يقدّس المؤمن هذا اليوم، ينال قداسة من عند اللّه (خر ٢٠:١٢). وبما أنّ هذا اليوم مقدس، فهو يخصّ الله؛ لذلك لا يستطيع المؤمن أن يتصرف به كما يشاء. في هذا قال سفر اللاويين : «في ستّة أيّام تعمل عملاً، وفي اليوم السابع سبت عطلة مقدّس تحتفلون به، ولا تعملوا عملاً في جميع دياركم، فهو سبت للرب» (٢٣:٣). وقد نظّمت الشريعة ذلك اليوم، فمنعت حتى إشعال النار (خر ٣٥:٣)، وجمع الحطب (عد ١٥:٣٢)، وتهيئة الطعام (خر ١٦:٢٣). لا شك في أن الفرائض الخاصّة بالسبت ستكون كثيرة، وسيحرّر يسوعُ اليهودَ منها، وسوف يعلن الأنبياء أن ممارسة هذا اليوم هي شرط لتحقيق المواعيد في نهاية الأزمنة : «إن توقفت عن عملك في السبت، عن قضاء حاجتك في يومِي المقدس...، تبتهج بي أنا إلهك، وعلى مشارف الأرض أرفعك» (أش ٥٨:١٣-١٤).

٣- يوم الفرح والبهجة

شعب يعيش في المنفى، هل يستطيع أن ينشد، فيعبّر عن فرحه في منطق البشر؟

كلا! لهذا، حين طلب الناس من المنفيّين أن ينشدوا، على أنهار بابل، رفضوا، لأنّهم علقّوا كنّاراتهم على الصفصاف، ورفضوا أن يستعملوها ما داموا في أرض غربة (مز ١٣٧: ١-٤). شعب ترك شريعة ربّه مدّة طويلة، أما يجب أن يبكي؟ شعب ابتعد عن الهيكل، هل يحق له أن يعيّد (مز ٤٢: ٥)؟ هو يكتئب في نفسه، ويبكي في داخله (مز ٤٢: ٦)، ويصلّي الى الإله الحيّ قائلاً له : «لماذا نسيتني؟» (آ ١٠).

ومع ذلك، فإنّ عزرا يدعو الناس الى الفرح؛ ففي الفرح قوّة. قال لهم : «أسكتوا، ولا تبكوا بعد، لأنّ اليوم يوم مقدس، فلا تحزنوا» (نح ٨: ١٢). أجل، يوم الرب هو يوم الفرح، لا يوم الحزن، يوم تُهيَّأ فيه وليمة تجمع الأقارب والأصحاب؛ يوم يأكلون فيه الطيّب ويشربون الحلو؛ يوم المشاركة والعطاء، و«الرب يحب المعطي الفرحان» (أم ٢٢: ٨؛ رج٢ كو ٩: ٧).

ذاك هو يوم الرب؛ بما أنه كذلك، فلا يمكن إلا أن يحمل بركة الرب. هنا نتذكّر في الأناجيل المرّات العديدة التي فيها شفى يسوع مرضى يوم السبت الذي كان يوم الرب عند اليهود : رجل يده يابسة، شفاه يسوع يوم السبت وما انتظر يوماً آخر (مر ٣: ١)؛ مخلّع قضى في مرضه ثمانية وثلاثين عاماً، شفاه يسوع (يو ٥: ٥)، والمسألة ليست مسألة تأخير يوم أو تقديم يوم؛ المسألة هي أن يوم الرب هو يوم الفرح، فلماذا لا يفرح هذا الرجل بيده التي صارت صحيحة؟! ولماذا لا يحمل هذا المخلّع سريره، فيركض ويقفز في كلّ مكان، شأنه شأن الأطفال؟!

نداء يطلق نحونا اليوم، نحن المأخوذين بالهموم اليوميّة، الساعين وراء لقمة العيش على صعوبتها، نداء يدعونا إلى أن

تلاوة للشريعة وإصغاء للتفسير

نفهم أن يوم الرب في المسيحيّة ارتبط بالقيامة، فحوّل حزن تلميذي عمّاوس الى فرح، فاحترق قلبهما في صدرهما حين رافقا الرب، ونسيا الليل والتعب والحزن السابق، وعادا الى الرفاق. هكذا يتقدس، في الواقع، هذا اليوم الذي أعطانا الربّ إيّاه لنُسَرَّ ونفرحَ فيه (مز ١١٨: ٢٤). يا ليتنا نعود الى الإيمان والرجاء، فنتجاوز ما يقف في وجهنا من صعوبات! ويا ليتنا لا نفرح وحدنا، بل نطعم الجائع، ونسقي العطشان، ونزور المريض، ونفتقد السجين! هكذا تظهر محبّة اللّه في العالم، وهكذا تثبت محبّة اللّه فينا (١ يو ٣: ١٧).

خاتمة

انطلقنا من احتفال قام به عزرا مع أناس عرفوا الحزن والألم، فدعاهم الى الفرح. كانت كلمة اللّه الدافع لهم لكي يفهموا أهميّة يوم تقدّس ببركة اللّه وحضوره. ووصلنا الى يوم الأحد، يوم القيامة، اليوم الذي فيه انتصر يسوع على الشرّ والألم والموت. إن يسوع يدعونا، ونحن نلبي نداءه. لا نقدس ذاك اليوم، بل نقدس كل يوم من أيام حياتنا. ولكن يبقى هذا اليوم إكليلاً لسائر الأيّام، لأنّ الربّ اصطفاه لنفسه، جعله يوم الراحة؛ فماذا ننتظر للدخول في هذه الراحة (عب ٤: ١١)؟

ذاك كان عنوان المؤتمر الكتابي السابع الذي نظّمته الحركة الكتابيّة في دير سيّدة البير – جل الديب– لبنان، في ٢١–٢٧ كانون الثاني ٢٠٠١، مع شعار أخذ من ٢ كور ٥: ٢٠: "نحن سفراء المسيح".

حضر المؤتمر وشارك فيه وفود من إيران، العراق، سورية، الأردن، فلسطين، مصر، السودان، ولبنان. كما أعطى خمس محاضرات الأبُ ميشال كينال من المعهد الكاثوليكي في باريس وشارك في اليوم الأخير أعضاء الهيئة التنفيذيّة في الرابطة الكتابيّة العالميّة من رئيس وأمين سرّ ومقرّر وأعضاء، وتميّزت المشاركة هذه السنة بالروح المسكونيّة، بعد أن قدّم باحثون أورثوذكس وبروتستانت محاضرات كان لها وقع كبير.

جاءت محاضرات الأب كينال إطارًا واسعًا لتهيء الطريق لسائر المحاضرات: علاقة بولس بكورنتس هي علاقة كلّ مسؤول "برعيّته". بناء الرسالة إلى رومة وفيها البلاغة الساميّة، وخصوصًا البلاغة اليونانيّة. فبولس ابن طرسوس، المدينة الجامعيّة التي فيها عرف الشعراء والفلاسفة اليونان. وطُرحت مسألة هامّة: علاقة بولس بالشريعة. في مداخلته الرابعة تطرّق الأب كينال إلى تطوّر الفكر البولسي من ١ تس إلى ١ كور وغيرها. وفي المداخلة الأخيرة تحدّث عن الرسائل الثانية، أي تلك التي يعتبر الشرّاح أن تلاميذ بولس كتبوها ولم يكتبها هو. أمّا الرسائل الأولى التي تنسب إلى بولس فهي ١ تس، ١ كور، ٢ كور، فل، غل، روم، فلم. هناك تبدل في ما يخص كو التي اعتبرت من أحد تلاميذ بولس. ولكن العلماء يميلون إلى القول بأنّها من يد بولس. وجاءت أف توسيعًا لها. ويعتبر البعض أن ٢ تم هي وصيّة بولس قبل موته. وفي خطها دونت ١ تم، تي. وأخيرًا جاء تلميذ قرأ ١ تس، فقدم ٢ تس لأنّه رأى فيها جوابًا على وضع يعيشه المسيحيّون في سنة ٨٠ تقريبًا. ماذا يعني كلّ هذا؟ صارت رسائل بولس نصوصًا مقدّسة يستلهمها الكتاب كما استلهم بولس نصوص العهد القديم. وفي أي حال، اعتادت الجماعة أن تقرأ الرسائل البولسيّة في اجتماعاتها (كو ٤: ١٥–١٦). بل هي جمعت رسائل بولس في مجموعة، وهذا ما تشهد له ٢ بط ٣: ١٦. ثمّ، حين نقول إن بولس كتب هذه الرسالة أو كتبها أحد تلاميذه، فما زلنا في المدرسة البولسيّة، وبولس الرسول لا يعمل وحده، بل مع فريق عمل بجعل كلّ واحد موهبته في خدمة الجماعة. ويبقى أنّنا أمام كلام الله الذي تقدّمه الكنيسة للمؤمنين والعالم. الدراسات العلميّة تساعدنا على تحديد الزمان والأشخاص بالنسبة إلى سفر من الأسفار. ولكنّنا لا ننسى في النهاية أنّنا أمام كلمة الله التي تفسّر نفسها بنفسها حين نقرأها على ضوء الروح القدس.

جاءت المحاضرات مكثّفة خلال خمسة أيّام، سبقها يوم افتتاح. عالج المؤتمرون حياة بولس وشخصيّته وتعليمه الذي ما زال معاصرًا لنا. وتوقّفوا عند بعض رسائله، مثل تيطس وفيلمون، أو عند نص من نصوصه يبدو بشكل نشيد ليتورجي (كو ١: ١٥–٢٠)، أو تعليم عن المعموديّة (روم ٦: ١–١٤) والقيامة (١ كو ١٥: ١ي)، أو نظرة إلى السطر التي هي صور عن نهاية الأزمنة (١ تس ٤: ١٣–١٧). دُرست مواضيع عامّة مثل الحياة المسيحيّة، وكرازة بولس، وعلاقة رسالته بالأدب الحكمي، وطريقته في التبشير، والأخلاقيّات عنده، كما دُرست مواضيع خاصّة مثل المرأة، الصليب، الكنيسة، الخلاص. أخيرًا، كان ربط بالعهد القديم مع توقّف عند شخص إبراهيم، وكلام عن دخول الأمم في الكنيسة، وهذا الدخول يدلّ على أنّ العهد القديم تحقّق في عمل بولس الرسولي.

في إطار هذا المؤتمر، كان لقاء على مستوى المنشّطين في إقليم الشرق الأوسط، ولقاء الرابطة في لبنان مع الهيئة التنفيذيّة بالنسبة إلى اجتماع الهيئة العامّة للرابطة العالميّة، الذي يُعقد في ٣–١٢ أيلول سنة ٢٠٠٢ في دار سيّدة الجبل، قرب جونيه، ويكون موضوعه: "كلمة الله بركة لجميع الشعوب"، وشعاره: "عرفتني طرق الحياة". أمّا السفر الذي نقرأه فهو أعمال الرسل، الذي ينقلنا من أورشليم إلى أنطاكية، بل إلى أقاصي الأرض.

وبعد تقييم أعمال المؤتمر، طُرحت مواضيع للمؤتمر المقبل: إمّا كتاب من العهد القديم (التكوين، المزامير)، وإمّا إنجيل من الأناجيل الإزائيّة (مرقس). وتقرّر موعد المؤتمر الكتابي الثامن يوم الأحد ٢٦ كانون الثاني ٢٠٠٣، ويمتدّ حتّى مساء الجمعة ٣١ كانون الثاني.

المؤتمر الكتابي السابع
بولس ورسائله

الحرب في «اليوم المقدّس» لأجل الكرامة والحياة

أ. فادي أحمر

مقدّمة

إن غالبية علماء الكتاب المقدّس وشرّاحه، عندما كتبوا عن سفري المكّابيين، عنونوا كتبهم ومقالاتهم: «أزمة المكّابيين» (La crise maccabéenne). والسبب هو أن اليهود، في النصف الثاني من القرن الثاني قبل المسيح، أي في الحقبة التي يتناولها السفران، قد عاشوا أزمة اضطهاد من الخارج وخيانة من الداخل. فالملك انطيوخوس الرابع، الملقّب بأبيفانيوس، اضطهدهم ومنعهم من ممارسة شعائرهم الدينيّة وأجبرهم على تقديم الذبائح للوثن. فكان الجنود «يقتلون النساء اللواتي ختنّ أطفالهنّ، ويعلّقون أطفالهنّ في أعناقهنّ، ويقتلون أيضاً أقاربهنّ والذين ختنوهم» (١ مك ١:٦١). وكانوا يلحقون باليهود المختبئين في المغاور «للاحتفال بالسبت سرّاً»، فيحرقونهم «بالنار معاً، وهم (اليهود) يحترزون من أن يدافعوا عن أنفسهم، إجلالاً لهذا اليوم المقدّس» (٢ مك ٦:١١).

في مواجهة هذه الأحداث، وبخاصة حدث قتل اليهود يوم السبت، يروي سفر المكّابيين الأوّل بأن اليهود، وعلى

فرسانُ يهوذا المكابي في وضعِ قتالي
لأجل شريعة الربّ وكرامة شعبه، وحفظِ يومه المقدّس

يهوذا المكابي

رأسهم متّتيا، اتّخذوا هذا القرار: «كلّ رجل أتانا مقاتلاً يوم السبت نقاتله، فلا نموت جميعاً كما مات إخوتنا في المختبآت» (١ مك ٢: ٤١). فهل خالف هذا القرار الشريعة والتقليد اليهوديَين؟

ماذا يتضمّن سفرَا المكّابيين؟

إنّ سفري المكّابيين هما الوحيدان اللذان يفيداننا مباشرةً عن تاريخ الشعب اليهودي في العصر الهيلّينيستي. في تلك الحقبة كانت أورشليم تحت سيطرة أمبراطورية السلوقيّين (les Séleucides) التي كانت تمتدّ من البحر المتوسط حتى أنحاد إيران، وعاصمتها أنطاكية.

سفر المكّابيين الأوّل هو ثلاثيّة من المؤلّفات تسرد مآثر يهوذا المكّابي وأخويه يوناتان وسمعان. وسفر المكّابيين الثاني هو تلخيص لمؤلّف في خمسة أجزاء، وضعه ياسون القيرواني (يهودي راسخ الإيمان من شتات القيروان، مطّلعٌ على أحوال أورشليم والدوائر السلوقيّة وذو ثقافة هيلينستية) في وقت قريب من الأحداث التي كتبها، أي بعد السنة ١٦٠ ق. م. بقليل.

يتناول السفران الأحداث التي جرت بين عامي ١٧٥ و١٦٠ ق. م. إنّها أحداث متشابهة؛ فهي تروي قصّة اليهود في أورشليم واليهوديّة في عهد الملك انطيوخوس الرابع – أبيفانيوس. في تلك الحقبة دخلت الحضارة الهيلينستية إلى فلسطين وهدّدت الدين اليهودي.

ما الذي أجبر اليهود على الاحتفال بالسبت سرّاً؟

حوالي السنة ١٩٨ ق. م. منح ملك السلوقيّين أنطيوخوس الثالث، اليهود ميثاقاً يسمح لهم بالعيش بموجب شريعتهم؛ كما ساعدهم على إعادة بناء أورشليم التي كانت قد تعرّضت للدمار بسبب الحروب المتتالية عليها. وسمح أيضاً لليهود الشتات بالعودة إلى أورشليم. تجدر الإشارة إلى أن هذه المدينة كانت تضمّ شعوباً من أثنيات مختلفة؛ وبالتالي، السماح بعودة يهود الشتات إليها يعني السماح بإعادة «تهويدها». خطوة الملك هذه أتت في إطار مخطّط يقضي بتقوية مدن

أمبراطوريته في وجه الأخطار المحيطة بها، خاصّة من الجنوب (من مصر).

سنة ١٧٥ ق. م.، مات أنطيوخوس الثالث، ومَلَكَ ابنه أنطيوخوس الرابع – أبيفانيوس. اعتمد الملك الجديد خطّة مغايرة لتقوية أمبراطوريته. فأراد أن يكون شعبه «جميعاً شعباً واحداً ويتركوا كلّ واحد سُنَنه» (١ مك ١:٤١-٤٢). بذلك نقض الميثاق الذي أبرمه والده مع اليهود. فأصبح الحفاظ على الشريعة تمرّداً على السلطة، وتقديم الذبائح في الهيكل عصياناً لأوامر الملك، والحفاظ على حُرمة السبت مخالفة للقوانين.

في مواجهة هذه القرارات انقسم اليهود بين مؤيّد ومعارض، أو بالأحرى بين خاضع ومتمرّد. الخاضعون «رحّبوا بعبادته (أي المَلك)، فذبحوا للأصنام، واستباحوا حُرمة السبت» (١ مك ١:٤٣). أمّا المتمرّدون الذين رفضوا الانصياع، فقد هربوا إلى البراري، «هم وبنوهم ونساؤهم ومواشيهم، لأن الشرور ثقُلت عليهم» (١ مك ٢:٣٠). وكانوا تحت قيادة متّتيًا، «وهو كاهن من بني يوياريب» (١ مك ٢:١).

لحق بهم جند الملك إلى البراري، «وعسكروا تجاههم، واستعدّوا لمحاربتهم في يوم السبت فلم يردّوا (أي اليهود) عليهم، ولا رموهم بحجر، ولا سدّوا مختبآتهم، قائلين: لنمت جميعاً في استقامتنا، والسماء والأرض شاهدتان لنا بأنّكم تهلكوننا ظلما» (١ مك ٢:٣٢ و٣٦-٣٧).

الحرب في السبت

بعد هذه الحادثة، اتخّذ متّتيا ومن معه القرار بالمقاومة إذا ما هوجموا يوم السبت، وقالوا: «كلّ رجل أتانا مقاتلاً يوم السبت نقاتله، فلا نموت جميعاً كما مات إخوتنا في المختبآت» (١ مك ٢:٤١). ويروي سفر المكّابيين الثاني بأنّ يهوداً كانوا مختبئين في المغاور «للاحتفال بالسبت سرّاً»، قد تعرّضوا لحادثة مشابهة، إذ «وُشي بهم إلى فِيليبُّس (الفريجيّ الأصل)، فأحرقهم بالنار معاً، وهم يحترزون من أن يدافعوا عن أنفسهم، إجلالاً لهذا اليوم المقدّس» (٢ مك ٦:١١). وهنا لا يأتي المؤلّف على ذكر أي قرار بالمقاومة دفاعاً عن النفس يوم السبت. فعلى ماذا ارتكز متّتيّا في قراره؟

في تلك الأثناء كان متّتيّا قائداً لميليشيا اليهود الهاربين من الاضطهاد، وبالتالي لم يبحث في الكتب التاريخيّة وفي كتب الشريعة ليؤكّد شرعية قراره وصوابيته. وفي الواقع، إن اليهود، وفي مواجهة أحداث كثيرة مشابهة، أقدموا على حمل السلاح دفاعاً عن النفس في يوم «السبت المقدّس». ومن المحتمل أن أعداء اليهود كانوا على علم بذلك. لذلك نرى أبولونيوس «قائد المرتزقة» (٢ مك ٥:٢٤)، عندما تلقى الأمر بإبادة اليهود، لم يهاجمهم يوم السبت داخل أورشليم، إنما أخذهم بالحيلة؛ فهو «أظهر السلام، وانتظر يوم السبت المقدّس، حتى إذا استراح اليهود، أمر مرؤوسيه بعرض تحيّة (عرض عسكري)، ثم اقتحم المدينة بالسلاح، وأهلك خلقاً كثيرا» (٢ مك ٥:٢٥-٢٦). ويروي جوزف فلافيوس (مؤرّخ يهودي من القرن الأوّل) في كتابه Les Antiquités juives، أن بطليموس (Ptolémée)، في نهاية القرن الرابع ق. م.، استطاع بالحيلة دخول أورشليم واحتلالها يوم السبت. فقد دخل بطريقة سلميّة، متظاهراً بأنه يريد تقديم الذبيحة في الهيكل؛ وبعد دخوله، أخذ اليهود على غفلة، وسيطر على المدينة. إنّ اليهود لم يشكّوا في نيّة بطليموس باحتلال مدينتهم، وإلاّ لقاوموه يوم السبت.

وبالتالي لم يكن قرار متّتيّا (١ مك ٢:٤١) جديداً في تاريخ اليهود، فإنّ حمل السلاح يوم السبت كان مسموحاً به للدفاع عن النفس فقط.

إلاّ أنّ قرار يهوذا المكّابي، في معركته ضدّ نكانور، كان مختلفاً عن قرار والده متّتيّا، ولكن لماذا؟ كان يهوذا المكّابي يقاوم نكانور، الذي، بأمر من الحاكم بطليموس، قام بحملة عسكرية «ليستأصل ذرّية اليهود عن آخرهم» (٢ مك ٨:٩). انتصر اليهود بقيادة يهوذا المكّابي على نكانور «وكان ذلك اليوم عشيّة السبت، ولذلك لم يطيلوا تعقّبهم» (٢ مك ٨:٢٦)؛ فالمعركة، وبعد الانتصار على نكانور، لم تعد معركةً دفاعية، إنما تحوّلت إلى معركةٍ هجوميّة في ملاحقة العدو واستغلال النصر. لذلك أمر يهوذا بإيقافها حفاظاً على يوم السبت.

استنتاج

يتلاقى قرار متّتيا مع ما قاله يسوع للفرّيسيين بعد حوالي مئة وخمسين سنة تقريباً: «إنّ السبت جُعل للإنسان، وما جُعل الإنسان للسبت» (مر ٢:٢٧). بالطبع، لم يقصد يسوع الدفاع عن النفس في يوم السبت، إنّما القيام بخير لإنسان في هذا «اليوم المقدّس»، مثل شفاء صاحب اليد المشلولة (رج مر ٣:١-٦). فبالنسبة إلى يسوع المسيح، الامتناع عن الشفاء يساوي القتل، والامتناع عن عمل الخير يساوي عمل الشرّ؛ وفي كلتا الحالتين نرى أن موقف يسوع من السبت يميل إلى جعل السبت في خدمة الخير والحياة.

مشهد من قصة الإخوة المكابيين: مقاومة الدافع إليها هي الأمانة لله

(بيبليا مصورة من القرن الحادي عشر، فلورنسا)

يسوع لا يحترم شريعة السبت

(مت ١٢: ٩-١٤)

الخوري نعمةالله الخوري

دخل يسوع الى المجمع يوم السبت، فتجادل مع الفرّيسيّين حول إمكانيّة شفاء رجل يده يابسة. تتركز هذه المقطوعة حول احترام يسوع لشريعة السبت، وقد أوردها الإزائيّون الثلاثة (مت ١٢: ٩-١٤؛ مر ٣: ١-٦؛ لو ٦: ٦-١١). توافق هؤلاء على إيراد خبر شفاء هذا المريض بعد خبر فرك السنابل يوم السبت (مت ١٢: ١-٨؛ مر ٢: ٢٣ي؛ لو ٦: ١ي). هناك ارتباط وثيق بين الخبرين : في الحقول، تعدّى التلاميذ على شريعة السبت حين فركوا السنابل، فدافع يسوع عن تصرفهم؛ أمّا في المقطع الذي نعالجه، فإن يسوع هو الذي لا يحترم شريعة السبت حين شفى مريضاً خلال اليوم المخصص للراحة.

سنحاول أن نتعرّف إلى كيفيّة تطبيق شريعة السبت في المدارس اليهوديّة لنستطيع أن ندرك مدى تجاوز يسوع لهذه الشريعة؛ هكذا يمكننا أن نستنتج بعض المعاني اللاهوتيّة التي يحملها يوم الرب في العهد الجديد.

أولا : شريعة السبت في تعليم الرابانيّين

يعتبر الفرّيسيّون الذين يواجهون المسيح في المجمع، أنّه لا يحق ليسوع أن يمنح الشفاء لذلك المريض في يوم السبت (شَبَتْ = راحة)، لأنّ اللّه ارتاح في هذا النهار (تك ٢: ٢)؛ حين سأل الخصوم يسوع حول إمكانيّة شفاء ذلك المريض يوم السبت، أجابهم الربّ مستعيناً بمثل الخروف الواقع في الحفرة (آ ١١). يذكّر يسوع محاوريه، بواسطة هذا المثل، أنّ الرابانيّين سمحوا بتجاوز شريعة السبت، إذا كانت حياة الإنسان أم الحيوان مهددة بالخطر. وبالفعل، تساهلت بعض مدارس الرابانيّين المتحرّرة في موضوع احترام شريعة السبت؛ في هذا الخصوص، يقول ترجوم ميخيلْتَا حول الخروج ما يلي: «لكي نبعد خطر الموت، يمكننا أن نتجاوز شريعة السبت» (ميخيلْتَا خروج ٢٢: ٢؛ ٢٣: ١٣). لكن حالة المريض، صاحب اليد اليابسة، ليست طارئة، وهذا المريض يستطيع أن ينتظر يوماً آخر لينال الشفاء؛ هذا يعني أنّ التساهل الذي سمح به الرابانيّون، حول احترام شريعة السبت، لا يطال حالة هذا المريض غير الطارئة، وبالتالي لا يمكن ليسوع أن يمنحه الشفاء، وإذا شفاه سيُقاد إلى المحاكم.

ثانياً : حالة المريض الطارئة

يرفض يسوع منطق الفريسيّين الذي يفرض انتظار يوم آخر لكي يمنح الشفاء لهذا المريض؛ إذا وقع حيوان في حفرة يوم السبت، فإنّ صاحبه يخلّصه فوراً، ولكن حالة هذا الانسان، صاحب اليد اليابسة، هي أكثر إلحاحاً من حالة خروف يقع في حفرة؛ هذا ما دفع يسوع لكي يسأل خصومه حول إمكانيّة تخليص النفس يوم السبت (مر ٣: ٤)؛ يبدو أنّ يسوع أراد أن يعطي الخلاص لهذا المريض يوم السبت من خلال شفاء يده اليابسة. للخروف الوحيد قيمة كبيرة عند صاحبه، غير أنّ قيمة الانسان هي أكبر من قيمة الحيوان (مت ٦: ٢٦؛ ١٠: ٣١). جاء يسوع ليعيد الى الخليقة النظام الذي خسرته إثر حادث محدد؛ ينفرد لوقا عن الإزائيّين، فيقول إن يد الرجل اليمنى هي يابسة (لو ٦: ٦) : إنّ اليد اليمنى قد نالت الشفاء، أي أنّها نالت الخلاص، فعاد الانسان إلى دوره كسيّد على الخليقة، بعد أن تعطّلت حياته، ومنعه الشلل من القيام بهذا الدور.

بين يسوع ورؤساء الكهنة لم يتوقف الجدال:
هو يشاء رحمةً، وهم لا يريدون سوى الذبائح:
«أَفعلُ الخير يجوز يوم السبت، أم فعلُ الشر؟ إنقاذُ نفسٍ أم قتلُها؟» (مر ٣: ٤)

ثالثاً : عمل الخير يوم السبت

سأل الفريسيّون يسوع : أيحلّ الشفاء يوم السبت (آ ١٠) ؟ ولكن يسوع نقل الجدال إلى مستوى آخر، فأجاب : يجب فعل الخير يوم السبت (آ ١٢). إنّنا نلاحظ أنّ الفريّسيّين يطرحون هذا السؤال الذي يختلف الرابانيّون حول تفسيره. وقد ذكرنا أعلاه أنّ بعض مدارس الرابانيّين المتحرّرة قد تساهلت في هذا الخصوص، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا الأمر بقي موضوع جدال بين الرابانيّين. حاول الخصوم أن يقحموا يسوع في جدالات معلميهم، ولكن المعلّم الإلهي رفض أن يعالج هذه الفتاوى اللاهوتيّة، فأجاب أنّه يجب فعل الخير. إنّ خبر مرقس يوجهنا في هذا الاتّجاه؛ فالإنجيلي الثاني لم يستشهد بمثل الخروف الذي وقع في الحفرة يوم السبت، لأنه يكتب إلى قراء وثنيين لا يهتمون كثيراً بأمر مجادلات الرابانيين حول شريعة السبت. بعبارة أخرى نقول: إنّ مرقس تجنّب أن يعطي مثلاً ملموساً (مثل الخروف الذي وقع في الحفرة)، لأنّه لا يركز اهتمام قرّائه على الآراء اللاهوتيّة المتناقضة، بل هو يضعهم أمام خيار جذري : عمل الخير أم عمل الشر، خلاص نفس أم هلاكها ؟

يشدد خبر شفاء الرجل صاحب اليد اليابسة يوم السبت على الرحمة، أكثر من تشديده على الفرائض الدينيّة. إنّ مقارنة تصرّفات يسوع مع تصرّفات الرابانيّين تجعلنا نلاحظ أنّ توجيهات يسوع هي محرّرة، لأنّها تجعل كلّ تصرّف ديني في خدمة الإنسان البائس. سأل الخصوم : هل يمكن الشفاء ؟ أجاب يسوع : علينا أن نعمل الخير. إنّ السؤال المطروح هو على مستوى المسموح والممنوع، في حين أنّ جواب يسوع يتعلّق بفعل الخير. يعلّمنا يسوع أنّه يجب تغيير طريقة تفكير الانسان حول مفهوم شريعة السبت.

رابعاً : سلطة يسوع على السبت

إنّنا نتساءل : كيف يتجرّأ يسوع فيغيّر شريعة السبت؟ هل يملك يسوع السلطان لكي يغيّر شريعة موسى التي نالها من اللّه على جبل سيناء (خر ٢٠: ١١)؟

إنّ يسوع هو المشترع الجديد، وقد تفوّق بتعاليمه على شريعة موسى. يقول متّى الإنجيلي إنّ يسوع صعد الى الجبل ليعلّم تلاميذه والجموع (مت ٥: ١)، وهذا يعني أنّ متّى يريد أن يبرهن أنّ صعود يسوع الى الجبل شبيه بصعود موسى إلى جبل سيناء لينال الوصايا. ولكن يسوع، في هذه العظة على الجبل، غيّر شريعة الطلاق، كما أمر بها موسى (مت ٥: ٣١-٣٢)، واقترح الصفح بدلاً من شريعة العين بالعين والسن بالسن (مت ٥: ٣٨-٤٢)، وطلب محبّة الأعداء عوضاً عن بغض العدو (مت ٥: ٤٣-٤٨). وبعد عظة الجبل، نلاحظ أنّ الجموع تعجبت من تعليم يسوع، لأنّه كان يعلمهم مثل من له سلطان، لا مثل معلّمي الشريعة (مت ٧: ٢٨-٢٩). إنّ تأكيدات يسوع : «قيل لكم...، أمّا أنا فأقول...»، تبرهن أنّ يسوع لا يريد أن يلغي شريعة موسى، ولكنّه يريد أن يقودها إلى كمالها (مت ٥: ١٧).

خاتمة

لقد وضع السبت في خدمة الإنسان، ولا يمكن أن يكون الإنسان في خدمة السبت. بما أنّ يسوع هو رب السبت (مت ١٢: ٨)، فهو يستطيع أن يتهجّم على التعلّق الحرفي بشريعة السبت. يريد يسوع أن يحرّر الناس من عبوديّة الشريعة. يقول بولس في هذا الخصوص : «أمّا الآن، وقد متنا عمّا كان يأسرنا، فقد أُعتِقنا من الشريعة، وأصبحنا نعمل في نظام الروح الجديد، لا في نظام الحرف القديم» (روم ٧: ٦). إنّ العبادة الحقيقيّة ليست في الامتناع عن القيام ببعض الأعمال الدنيويّة يوم السبت، فقد أتت الأيّام التي فيها يعبد العباد الحقيقيّون الآب بالروح والحق (يو ٤: ٢٤). إنّ عمل الخير يوم السبت لا يعني تجاوز الشريعة، بل إن السبت يأخذ معناه الحقيقي بواسطة فعل الخير وتخليص النفس.

لم يعترف الفريسيّون الذين يجادلون يسوع في المجمع بسلطته على السبت، فقرروا أن يهلكوه.

معجزات يسوع
علامات يوم الخلق الجديد

الخوري أنطوان مخائيل

من أجل فهم معجزات يسوع، والتي تشهد عليها الأناجيل الأربعة مجتمعة، يجب وضعها في إطار الكتاب المقدس العام، الذي يرفض أي تصوّر للعالم منغلق على نفسه ومكتفٍ بذاته، متمسّك باستقلاليته الكلية عن الله. إن الإيمان بالله الخالق، سيّد وغاية الخليقة والإنسان، وتصوّر العالم الذي ينبع منه، يوجب علاقة وحواراً دائمين بين الله والعالم، بين الله والإنسان. لذا يتجذّر تدخّل الله بواسطة المعجزة (عمل القوة، الآية، المعجزة) في الإيمان بالله الخالق المتسامي، غير المنظور، الكلّي القدرة والصالح، بأنه الحاضر دائماً، والعامل على خلاص الإنسان والعالم. في إيصاله الزمن الى ملئه وفي إعطائه الملكوت في يسوع المسيح، يظهر الله تدخّله الكلي القدرة فيه، حيث يخلق به الكون والإنسان خلقاً جديداً، يُصلح ويكمّل الخلق الأول. هذا الخلق الجديد بالمسيح هو ما تحتفل به الكنيسة وتعلنه وتعيشه في يوم الرب، يوم استذكار موت وقيامة المسيح، أي انتصاره النهائي على الموت

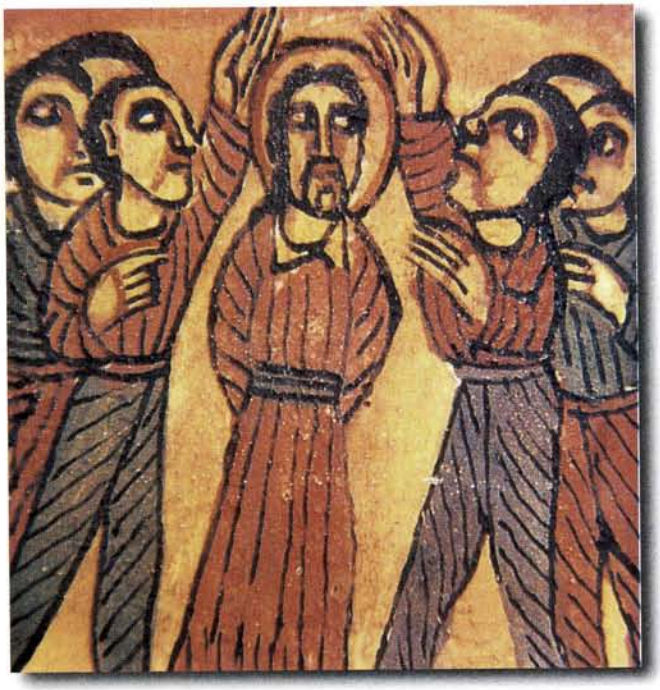

المسيح القائم من الموت.

رسم أثيوبي من القرن الثامن عشر يمثل تلاميذ الرب يكتشفون يسوع أنه المسيح الحقيقي، وذلك بعد القيامة

والخطيئة وكل أنواع الشرّ، والذي على ضوئه تعود لتقرأ وتفهم وتؤوّن معجزات يسوع، التي تستبق وتعدّ هذا الانتصار.

أ. المعجزات وقيامة يسوع

يضعنا روح الله وسلطانه وقوّته، ويسوع كصانع المعجزات، أمام يسوع القائم من بين الأموات. فالروح والقوة والسلطان، – التي تجعل القائم باكورة الراقدين، وتمنحه فعالية الخلاص المطلقة، الجسدي أيضاً، – هي حاضرة فيه مسبقاً خلال حياته الأرضية، وهي وراء دوره كالموحي النهائي وكصانع المعجزات. لذلك تبدو العلاقة بين المعجزة ومعجزة القيامة علاقة داخلية، ضرورية، متعددة ومكمّلة.

إننا نجد الإيمان بالقيامة في مصدر استذكار المعجزات. بما أنها أصبحت مفتاح تفسير هوية يسوع الحقيقية وحياته، أعماله وكلماته (لو ٢٤: ٤٤ وما يلي؛ يو ٢: ٢٢؛ ١٢: ١٦)، فقد كشفت القيامة للتلاميذ الطابع الكريستولوجي والخلاصي أيضاً لأحداث ما قبل القيامة، المفهومة بدورها كأحداث عجائبية. والمعجزات تفترض تفسيرها على ضوء القيامة: في تقديم تلميذي عمّاوس كأولئك الذين يعترفون بيسوع «نبياً مقتدراً بالكلمة والعمل»، وفي الوقت نفسه كـ «مسيح فاشل» لأنهما لم يكونا قد آمنا بعد بقيامته (لو ٢٤: ١٩–٢٤)، يجعلنا ندرك أن المعجزات الإنجيلية لا تصل الى هدفها بدون القيامة. كما أن إرجاع اليهود، الذين يطلبون آيات مذهلة، الى آية يونان وآية الهيكل (متى ١٢: ٣٩ وما يلي؛ يو ٢: ١٨ وما يلي؛ ٦: ٣٠ وما يلي) يوحي بأن المعجزات تقبل معناها العميق فقط من القيامة. في إعلانها المسيح ابن الله، البكر من بين الأموات – مثالاً ووسيطاً وصانع الخلاص للجميع – تمكّننا القيامة من إدراك فعالية يسوع المسبّبة للمعجزات، والتي تظهر في الأمر بحدوثها (مر ١: ٢٥؛ ٩: ٢٥)، وذلك بواسطة بشريته المخلوقة بروح الله وقوته (لو ١: ٣٥). بطريقة مماثلة، بكشفها دور المسيح الخلاصي الشامل (لو ٢٤: ٤٦ وما يلي) تمنح القيامة معجزات ما قبل القيامة صفة بواكير الخلاص، ومعجزات ما بعد القيامة صفة علامات الخلاص المعطى في الوقت الحاضر بالمسيح، المائت والقائم، ودعوات الى الإيمان به (أع ٣: ١٢–١٦؛ ٤: ٩ وما يلي؛ مر ١٦: ١٥–٢٠). بدورها تضيء معجزات ما قبل القيامة القيامة، من حيث أنها الانطلاقة والمراحل التي تحضّر النهاية. في إنجيل يوحنا، نلاحظ أن الإنجيلي ينثر عدة علامات مميزة مثل «أنا هو خبز الحياة»، «أنا هو النور»، «أنا هو القيامة والحياة» (يو ٦: ٣٥؛ ٩: ٥؛ ١١: ٢٥)، ويعطيها صفة المراحل التي تُهيّأ «أنا هو» لابن الإنسان المرتفع على الصليب وفي المجد ليجذب اليه وليخلّص (يو ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٢). بنفس الأسلوب، يحضّر لوقا القارىء، من خلال إدخاله المعجزات في «روح وقوة يسوع»، ليرى في القائم مانح قوة الروح القدس، حياة ومحرّك رسالة الخلاص الشاملة (لو ١: ٣٥؛ ٥: ١٧؛ ٦: ١٩؛ ٢٤: ٤٩؛ أع ١: ٨). في المقابل، في تقديمهم المعجزات كتدخلات محرّرة من مختلف أنواع الشر (الموت، المرض، الأرواح الشريرة، الطبيعة الغاضبة، الخطيئة)، يستبق الإنجيليون امتداد وعظمة انتصار يسوع الفصحي لصالح المؤمنين به. كذلك يبلغ الإيمان بيسوع، – الذي هو شرط مسبق ونتيجة للمعجزات (متى ١١: ٢٠–٢٤؛ مر ٥: ١٨–٢٠؛ لو ٨: ٣٨؛ مر ١٠: ٥٢)، – نضوجه في القيامة، ويصبح اعترافاً صريحاً به (لو ٢٤: ٣٤؛ يو ٢٠: ٢٨؛ ٢١: ٧) وتبشيراً علنياً به (مر ١٦: ١٥؛ أع ٢: ٢٢). في نفس الوقت، تبدو ندرة وحصرية المعجزات وظرفية مفاعيلها – وهو ما حفظ التلاميذ من «التهافت وراء المعجزة ومكّن يسوع من السير في طريق الصليب والموت (مر ١٥: ٢٩–٣٢) – في توافق تام مع فعل أن قوة القيامة، على رغم أنها تفتدي وتحوّل وتقدّس الإنسان منذ الآن، تتواجد مع ضعفه (الخطيئة والألم ٢ قور ١٢: ١٢؛ غل ٦: ٣؛ ١ قور ١٥: ٩؛ أف ٣: ٨)، تبني الإنسان الجديد من خلال عملية موت وقيامة (روم ٦: ٣ وما يلي؛ ٢ قور ٤: ١٠)، وتظهر فقط لأعين الإيمان وتبقى محجوبة عن الحواس (كول ٣: ٣ وما يلي؛ ١ يو ٣: ٢).

في هذا الإطار، تبدو تركيبة الظهورات الإلهية تركيبة معبّرة في العهد الجديد. خلافاً لظهورات العهد القديم (أع ٧: ٣٠ وما يلي؛ عب ١٢:

١٨-٢٩)، تبدو خطوط هذه الظهورات خطوطاً كريستولوجية وفصحية. فبعض التفاصيل والعبارات في تقديم مشهد العماد والتجلّي (مر ١: ١٠؛ متى ١٧: ١-٧)، كما والأوقات التي تسبق وتتبع موت يسوع وصباح القيامة (متى ٢٧: ٥١ و٤٥-٥٣؛ ٢٨: ٢-٤)، ونزول الروح القدس المدوّي (أع ٢: ٢-٤ و١٦-٢٠ و٣٣) وظهور المسيح لبولس (أع ٩: ٣-٨)، وخاصة المجيء الثاني بين تغيير شكل الكون (متى ٢٤: ٢٩-٣٠؛ ٢٦: ٦٤؛ ٢ بط ٣: ١٠-١٣)، وبعض المعجزات (متى ٨: ٢٤ وما يلي؛ يو ٦: ١٥-٢١؛ مر ٩: ١٤-٢٩) تستبق أو تتعلّق أو تفترض الحدث الفصحي. يوم الرب (رؤ ١٦: ١٤) يضحي يوم ابن الإنسان، يوم الربّ يسوع، يوم الرب (لو ١٧: ٢٤ و٣٠؛ أع ١٤: ٣١؛ ١ تس ٥: ١؛ رؤ ٦: ١٧).

ب. معجزات يسوع علامات الخلاص

في اعتلانه ابناً لله بقوة القيامة، البكر من بين الأموات، مسيحاً وربّاً (روم ١: ٤؛ كول ١: ١٨؛ أع ٢: ٣٦)، يسوع قام لأجلنا (عب ٦: ٢٠؛ ٧: ٢٥؛ ٩: ٢٤) وولد لأجلنا (لو ٢: ١١) كذلك كما مات لأجلنا (متى ٢٦: ٢٨؛ روم ٤: ٢٥). من يعترف بهذا الإيمان ينل الخلاص (روم ١٠: ٩ وما يلي). على هذا تجمع شهادة العهد الجديد بمجمله. يقدّم الإنجيليون، من جهتهم، يسوع القائم كصانع الرسالة الخلاصية الشاملة (متى ٢٠: ١٦؛ لو ٢٤: ٤٤-٤٦؛ يو ٢٠: ٢١-٣١)، كمصدر خلاص (أع ٢: ٢٢ وما يلي؛ ٥: ٣١؛ ١٣: ٢٦). في أعمال الرسل (أع ٤: ١٢ و٩ و٧؛ ٣: ٧) يمنح الشفاء للأعرج باسم وبقوة المسيح، المائت والقائم، ويشار الى أن الخلاص يعطيه الله حصرياً للجميع باسم يسوع (أع ٢: ٣٦؛ فيل ٢: ١١). كذلك يقدّم الإنجيليون معجزات يسوع كأعمال خلاصية، وكما أنهم يشدّدون على الإيمان متزامناً مع المعجزات كمحيطها الحيوي، كذلك هم يوضحون الخلاص بعلاقة معها وكثمر لها.

من ناحية التعبير، يستعمل الإزائيون فعل «خلّص» (Sozein، راجع يو ٥: ٦؛ ٧: ٢٣) بتواتر بعلاقة مع المعجزات، ويبرز يوحنا أكثر من مرة العطايا الخلاصية المحتواة في الآيات. من هذا ينتج أن المعجزات هي لخير الإنسان (مر ٥: ١-٢؛ ١٢: ١٢-٢٠ و١٤). إن تدخّل يسوع العجائبي يحمل التحرير من الشرور التي تهاجم الإنسان: الأمراض (مر ٣: ٤؛ ١٠: ٥٢)، القوى الطبيعية العدوة (متى ٨: ٢٥؛ ١٤: ٣٠)، الشياطين (لو ٨: ٣٦)، الموت الوشيك أو الواقع (مر ٥: ٢٣؛ لو ٨: ٥٠؛ يو ١١: ١٢)، الحاجات المادية (مر ٦: ٣٥-٤٤؛ يو ٢: ١-١١). لكن هذا الشفاء الجسدي، الذي هو في بعض الأحيان مرادفٌ للحياة (مر ٥: ٣؛ ٣: ٤)، هو في الوقت عينه شفاءٌ روحيٌّ، كما في خبر السامري الذي، من بعد شفائه من البرص، قبل عطية الخلاص (لو ١٧: ١٩)، وأعمى أريحا الذي، من بعد استعادة بصره، تبع يسوع (مر ١٠: ٥٢). في هذا الإطار، يطيل لوقا صيغة الصرف «ايمانك خلّصك» من الشفاء الجسدي (لو ٨: ٤٨) الى الشفاء الروحي (لو ٧: ٥٠) والى الاثنين معاً (لو ١٧: ١٩). لذلك يعلن يسوع صراحة في كفرناحوم (مر ٢: ١-١٢؛ يو ٥: ١-١٤) أنه بسلطانه كابن الإنسان يمنح المخلّع بطريقة غير مرئية مغفرة الخطايا، وبطريقة مرئية الشفاء.

لذلك تتلخّص طبيعة الخلاص في المعجزات الإنجيلية في معجزات طرد الأرواح. هذه الأخيرة هي علامات حسية على عطية ملكوت الله (متى ١٢: ٢٨) وتعطي طابعاً ملموساً للملكوت المعلن قريباً في كلمة يسوع (مر ١: ١٥). في اعتبارها اتماماً للخيور الموعود بها في العهد القديم، تظهر هذه المعجزات بواكير الملكوت الممنوح للفقراء (متى ١١: ٥ و٢-٦) والمتاح بالكلية في القيامة (لو ٢٢: ٢٩ وما يلي). إن انتصارات يسوع على مختلف أنواع شرور الإنسان، خلال رسالته العلنية، هي ثقوب مفتوحة في ملك الشيطان، تعلن مسبقاً انتصار يسوع عليه في القيامة. كما تظهر معجزات ما بعد القيامة، التي يقوم بها مؤمنون، قوة المسيح القائم وعمل الروح القدس (مر ١٦: ١٧-٢٠؛ غل ٣: ٥) ضد الخطيئة، وتساهم في تغذية الرجاء المسيحي بخلاص كل الإنسان وتحرير الكون كله (روم ٨: ١٩-٢٥).

ج. معجزات يسوع علامات الخلق الجديد

يجب اعتبار معجزات يسوع،

بالدرجة الأولى، تقوية ودعماً للطبيعة من قبل الله، الخالق والمعتني أكثر منها أحداث خارقة ضد أو فوق الطبيعة. بواسطة المعجزة، أي بواسطة تدخّل الله المحيي والشافي المباشر، تقوّى الطبيعة بطريقة تعيدها الى كمالها الخاص بها. إنها تعود الى الحياة، تشفى، تستعيد توازنها النفسي، تُنتزع من سيطرة الشرير. على رغم ظهورها كحدث خارق العادة، تبدو المعجزة تقوية للطبيعة من الداخل، لأنها حدث حميمي «بحسب طبيعة الإنسان»، التي هي طبيعة مخلوقة للحياة، للسعادة، للكمال النفسي والجسدي. إنها نوعاً ما عودة الإنسان الى «حالة عدن»، عندما لم تكن طبيعته قد طبعت بعد بالمرض والموت. لذلك تظهر معجزات يسوع علامات على قرب الملكوت الحاضر مع يسوع في البشرية وفي الكون، اللذين يدخلان في هذا الخلق من جديد.

يبرز هذا التوجه في كون العهد الجديد لا يستعمل إلا نادراً عبارة «أعجوبة» أو معجزة» (أع ٢: ٢٢؛ روم ١٥: ١٩؛ ٢ قور ١٢: ١٢ : «Térata») أو «أموراً عجيبة» (لو ٥: ٢٦: «Paradoxa»). في حين نراه يستعمل عادة عبارة «قوة» (مر ٥: ٣٠ dunameis)، «علامات» (مر ٤: ٣٨ semeia)، «أعمال» (يو ٥: ١٧-٢٩ érga). هذا يجعل من المعجزات علامات على تدخل الله القوي، على الحبّ الالهي، على مجيء الملكوت المسيحاني في شخص يسوع، الذي ينقض ملكوت الشرير (متى ١٢: ٢٨؛ لو ١٠: ١٧-٢٠). حيث يتقدّم ملكوت الله هناك يتقهقر ملكوت الشيطان (لو ١٠: ١٨). تعيد المعجزات الى الإنسان كماله الجسدي والروحي والنفسي، مستبقة، ولو بطريقة جزئية، مستقبل البشرية والكون في الله. هكذا تشهد المعجزات لسلطان يسوع (exousia) الإسكاتولوجي (متى ٧: ٢٩؛ ٩: ٦ و٨). إنه المسيح الحقيقي الذي يتكلّم ويعمل، وعمله يتوافق مع كلمته. المعجزات هي، في الواقع، إكتمال الوعود المسيحانية (متى ١١: ٥ وما يلي). بطرده الشياطين وبشفائه المرضى، يكسر يسوع سلطان الشرير فعلياً، ويقيم ملكوت الله. حيث يوجد المسيح هناك تعمل قوة الخلاص والحياة التي أعلنها الأنبياء: انتصار على المرض والموت، كما على الخطيئة والشيطان.

معجزات يسوع هي أخيراً علامات تستبق التحول الذي سيتمّ في نهاية الأزمنة. لأن الفداء يجب أن يجدّد كل ما أفسدته الخطيئة. المعجزة هي علامة تحرير وتمجيد الأجساد. وجسد المسيح القائم والممجد هو الاستباق المنظور لمصير الإنسان النهائي، المدعو الى شركة حياة مع الله؛ إنه التأكيد على أن هذا التمجيد يعمل منذ الآن، وبطريقة خفية، في العالم ليحوّله. فالأجساد المحرّرة من المرض والخطيئة والموت تكشف مسبقاً انتصار الروح النهائي، الذي سيحيي أجسادنا المائتة ويلبسها عدم الفساد (روم ٨: ١١). يرى بولس الإنسان والكون محمولين بقوة الفداء نحو تمجيدهم النهائي. فالكون ليس معدّاً ليتلاشى بل ليتحوّل ويمجّد. والمعجزات تعلن وتؤكد هذا التحوّل النهائي، عندما تقيم قوة الله، وقد أبادت الموت والخطيئة، كل شيء جديدا ونهائياً (روم ٨: ١٩-٢١).

إن تدخّل الله في الطبيعة والتاريخ، المتجلّي في المعجزة، يؤكّد حضوره وسيادته وعمله وقيادته للخليقة وللإنسان، وارتباطه الدائم بالتاريخ البشري مع الإنسان ولأجل الإنسان. كما يؤكّد تدخّل الله العجائبي ليخلّص الإنسان في حياته الزمنية، ولوقت محدّد (من المرض والعبودية والموت) أن غاية تصميمه هي خلاص كل الإنسان، حتى في جسده، في خلقه من جديد؛ ويدعم الرجاء المسيحي بالقيامة وبتحرير الخليقة كلها (روم ٨: ٢٢-٢٩).

راجع:

AMATO, *Gesù il Signore*. Saggio di Cristologia, EDB (1988) 115-118.

DUPREZ A., *Les miracles évangéliques peuvent-ils avoir un sens aujourd'hui, dans Assemblée du Seigneur*, 54, Cerf: Paris (1972) 45-50.

GALOT J., *Christ, qui es-tu?*, Sintal: Louvain (1985) 151-160.

KASPER W., *Jésus le Christ*, Cerf: Paris (1986) 127-138.

URICCHIO F., *Miracolo*, dans Nuovo Dizionario di Teologia Biblica, San Paolo: Milano (1988) 954-978.

في أوّل أيّام الأسبوع... القبر الفارغ

الأخت باسمة الخوري

تبدو قصّة يسوع في كتاب العهد الجديد قصّة رائعة، من حيث أنّها تضع القارئ في حضرة رجل يعلن لإخوته رسالة خلاص وسلام، قصّة رجل يواجه الاضطهادات والموت بثقة تحقق السلام الذي أعلنه، لكنّه يلاقي نهاية مفجعة مسمّراً على الصليب. فهل هذه فعلاً خاتمة القصّة؟

عند هذا الحد، يجد المؤرّخ نفسه غير قادر على الوصول إلى براهين وإثباتات، لأنّه لن يصل إلى الحياة الأبديّة التي يحياها يسوع، والتي يبشّر بها الإنجيل، إلا من خلال تأثيراتها. ولا بد لنتائجه من أن تنطبع بموقفه الإيماني الخاص. فإن آمن بالقيامة، يقع في خطر الحماس الذي طغى على المؤمنين الأوائل، وذلك على حساب حسّه النقدي؛ وإن لم يؤمن يقع في خطر الحكم على كلّ المؤثّرات العجائبيّة للحضور الالهي، كما لو كانت من اختلاق خيال المؤمنين البسطاء. لكن المؤرّخين يُجمعون اليوم على أنّ كلّ المسيحيّين الأوائل قد آمنوا بحياة يسوع الممجّدة بعد موته، لكنّهم يختلفون حول أصل النصوص التي نقلت هذا الإيمان. أمّا المؤمنون

إلى ذاك المكان المقدس أتت النساء باكراً، فوجدن القبر فارغاً: لقد قام الرب!

القبر المقدس وكنيسة القيامة في القدس القديمة/أورشليم.
نرى إلى اليسار قبة الأجراس، وهي من القرون الوسطى، ثم القبتَين، الأُخريَين: قبة القيامة، وهي الأكبر، والقبة التي تعلو الكنيسة الرومانية.

المسيحيون فقد دافعوا دوماً عن كون هذا الإيمان يتأصّل في تدخّل مباشر من قبل يسوع القائم من الموت.

في هذا الإطار تندرج نصوص العهد الجديد التي تعلن أنّ التلاميذ قد اكتشفوا قبر يسوع الفارغ في اليوم الأوّل من الأسبوع، وبأنّ يسوع قد تراءى للتلاميذ بعد أن كان قد مات ودفن. فماذا تقول النصوص؟

نحن نملك أربع مجموعات من المصادر تتعلّق بحدث القيامة :

- النصوص الإنجيليّة، وتختلف صِيَغُهَا الأدبيّة كثيراً بين نصوص الآلام، حيث نجد تشابهاً كبيراً، وبين نصوص القيامة، حيث الاختلافات كثيرة. فمرقس، مثلاً، يذكر القبر الفارغ، فيما يذكر متّى القبر الفارغ وترائي يسوع في الجليل؛ ويذكر لوقا القبر الفارغ وترائي الرب في أورشليم؛ في حين يذكر يوحنّا القبر الفارغ، لكنّه يخبر عن ترائي الرب يسوع في أورشليم وفي الجليل. بالرغم من ذلك، يبدو التركيز واضحاً في كل هذه النصوص على «اليوم الأوّل من الأسبوع» كيوم القيامة.
- خطب كتاب أعمال الرسل، وهي ليست في أي حال من الأحوال تقاريرَ مباشرة، بل مؤلّفات جمع فيها لوقا معطيات قديمة، وقدّمها بطريقته الخاصّة. فإن كنّا لا نستطيع أن نصل من خلالها إلى معطيات تاريخيّة مؤكّدة، فإنّنا لا نقدر أن ننفي كلّ قيمة تاريخيّة لها.
- أمّا القدّيس بولس، فإنّه ينقل لنا ما تلقاه عن موضوع ترائي الرب (١ كور ١٥)، وعن رؤيته للرب (١كور ٩:١)، وعن إعلان اللّه ابنه من خلاله (غل ١:١٥-١٦)، ويشهد بأنّ «المسيح قد فاز به» (فيل ٣:١٢).
- الصلوات وقوانين الايمان، وهي معطيات قديمة أدخلت في رسائل مار بولس وفي غيرها من كتب العهد الجديد (رسالة بطرس خاصّة). هذه المقاطع هي المصادر الأقدم، وتأخذ الأولويّة كمعطيات تاريخيّة[1].

الكرازة الرسوليّة

في رسالة بولس الأولى الى أهل كورنتس، وقد كتبها حوالي السنة ٥٥/٥٦، يحفظ الرسول أقدم شهادة نملكها حول الإيمان بالمسيح القائم من الموت، وهي تعود إذاً الى حوالي العشرين سنة على الأحداث التاريخيّة التي جرت. ينقل لنا بولس من خلال هذه الشهادة، تقليداً قديماً :

«أذكر كم، أيّها الإخوة، بالبشارة التي حملتها لكم وقبلتموها، ولا تزالون ثابتين عليها، وبها تخلصون إذا حفظتموها كما بشرتكم بها، وإلاّ فأنتم آمنتم باطلاً... سلّمت إليكم قبل كلّ شيء ما تلقيته، وهو **أنّ المسيح القائم قد مات من أجل خطايانا، كما جاء في الكتب، وأنّه دُفن وقام في اليوم الثالث، كما جاء في الكتب**، وأنّه ظهر لبطرس، ثمّ للرسل الاثني عشر، ثم ظهر لأكثر من خمسمائة أخ معا معظمهم ما زال حيّاً، وبعضهم ماتوا، ثمّ ظهر ليعقوب، ثمّ لجميع الرسل، حتى ظهر لي آخراً أنا أيضاً كأني السقط» (١ كو ١٥:١-٨).

إن نَقل بولس صيغة الايمان هذه، فليس للتبشير بها، بل إنّ ما يريده هو الارتكاز على معطيات قديمة معروفة، مقبولة من الجميع، ليبرهن لمعاصريه وجوب الإيمان بقيامة الموتى. فإن قرأنا النص في العمق، نراه يشدّد على تأكيد أحداث تاريخيّة يضعها في جهتين مقابلتين: فمن جهة، يؤكّد بولس إن موت المسيح وقيامته بعد ثلاثة أيام، قد تمّا كما جاء في الكتب؛ ومن جهة ثانية، يؤكد ظهوراته دون أن يذكر الكتب. يحاول بولس إذاً أن يضع الأحداث في قلب مشروع اللّه، وذلك بشهادة الكتب، كما يذكر المراحل التي تركت بصماتها في العالم : لقد وضع المسيح في القبر، وظهر حيّاً بعد ثلاثة أيّام.

ومن الواضح أنّه قد حصلت ترائيات أكثر ممّا تعلن النصوص الإنجيليّة، لكن بولس لا يذكر في كرازته الترائي للنساء. لقد اختار بولس إذاً ما وجده الأكثر إقناعاً : **إنّ المسيح حيّ**، ومن هذا المنطلق لا نجد عنده برهانَ «القبر الفارغ»، مثلاً، كما لا نجده في الخلاصات الأولى للكرازة الرسوليّة[2]، في حين يركّز الإنجيليّون كلهم عليه.

١- يمكن تمييز هذه الصلوات من ضمن الكتابات من خلال بعض الخصائص: إنّها تندرج في إطار «تلقي الإعلان» (١ كور ١٥:١-٢؛ ١١:٢٣)؛ تجمع مفردات تختلف عن مفردات الكاتب؛ تأخذ شكلاً شبه شاعري مختلف عن النص الذي تندرج فيه؛ تتداخل في موضوع النص وإطاره العام؛ تتكرّر في كتابات متعدّدة لكتّاب مختلفين.

٢- أع ٢:٢٢؛ ٣:١٥-٢٦؛ ٤:١١، ٢٠، ٣٣؛ ٥:٢٩-٣٠؛ ١٠: ٣٧-٤٣؛ ١٣: ٢٧-٣٩؛ ١٧:٣، ١٨، ٣١-٣٢؛ ٢٦: ٢٢-٢٣.

القبر الفارغ، وأمامه النساء التقيات، حاملات الطيب

(كنيسة القديس أبُولينار، رافِنّا – S. Apollinaire Nuovo Ravenna)

في أوّل أيّام الأسبوع... القبر الفارغ... وترائي الرب

– القبر الفارغ

بحسب النصوص الإنجيليّة، يلعب اكتشاف القبر الفارغ دوراً أساسيّاً في الإيمان بقيامة يسوع. فالإنجيليّون الأربعة يؤكّدون بأنّه، عند «فجر الأحد» (مت ٢٨:١)، «في صباح اليوم الأحد» (مر ١٦:٢)، «عند فجر اليوم الأحد» (لو ٢٤:١)، «في اليوم الأحد» (يو ٢٠:١)، جاءت النساء إلى القبر، واكتشفن القبر الفارغ. لا يشكّل هذا الحدث برهاناً قاطعاً على القيامة، فهو ليس إلاّ علامة تحضّر لترائي الرب الذي قام من الموت. فالقبر الفارغ هو إذاً علامة ظاهرة وغامضة يجب تفسيرها، لأنّه يمكن أن تحمل شروحات عدّة، وهو ما يعلنه الانجيليّون بنقلهم مختلف المعاني التي حمّلها الناس لهذا الحدث. فمريم المجدليّة تُعلن : «لقد أخذوا الرب» (يو ٢٠:٢ و١٥)، والحراس اليهود يؤكّدون «إنّ تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه بينما كنّا نيامًا» (مت ٢٨:١٣). لقد وضع القبر الفارغ الشك والحيرة في القلوب، قبل أن يتدخّل الكلمة ويولّد الإيمان (لو ٢٤:٤)[٣]. لكن يمكن لهذا الحدث–

٣– نجد في ١ كور ١٥ تفسيراً مشابهاً: إن ما حدث في اليوم الثالث هو أنّ جسم المصلوب الذي دفن قد قام، وإن كان الجسد المصلوب الذي دفن قد قام، فهذا يعني ان القبر قد فرغ بعد ذلك، أي أنّه أصبح فارغاً. فحدثُ القيامة يفترض إذاً فراغ القبر، لكن القبر الفارغ لا يسترعي انتباه الرسول.

العلامة أن يفهم على ضوء الإيمان بالقيامة، وبالتالي أن يحمل قيماً مهمّة :

- إنّه يعبّر عن الاستمراريّة بين يسوع ابن الانسان والرب يسوع القائم من الموت.
- يعلن أنّه ليس للموت الكلمة الأخيرة: «هكذا قال السيد الرب : سأفتح قبوركم وأصعدكم منها، يا شعبي...، فتعلمون أني أنا الرب حين أفتح قبوركم وأصعدكم منها، يا شعبي...» (حز ٣٧: ١٢-١٣).
- يعلن أنّ الأسكاتولوجيا حاضرة في تاريخ الانسان : انتظار قيامة الموتى.

- ترائي الرب

يشكّل الاختلاف الواضح في تحديد زمان ومكان ترائي الرب القائم من الموت، بحسب النصوص الإنجيليّة، الاعتراض الكلاسيكي ضد تاريخيّة حدث القيامة. ويتفق الشراح على أنّه لا يكفي أبداً ترتيب الأحداث، بحيث تكون الظهورات قد تمّت أوّلاً في أورشليم يوم الفصح (لوقا ويوحنّا) وفي اليوم الثامن (يوحنّا)، ومن ثمّ في الجليل (متّى ويوحنّا)، وأخيراً في أورشليم من جديد للصعود (لوقا)، لأن ترتيباً كهذا لا يحترم أبداً معطيات أدبيّة أكيدة. فبحسب لوقا ٢٤: ٤٩، بقي الرسل في أورشليم حتى يوم العنصرة، ممّا ينفي كل إمكانيّة لظهور الرب لهم في الجليل. بالمقابل، يعلن مت ٢٨: ٧ بأن القائم من الموت سيظهر في الجليل، ممّا يجعل من الصعب افتراض ترائيه قبل ذلك في أورشليم. فكيف نفهم إذاً زمان ومكان ترائيات الرب القائم من الموت ؟

لا يحدد متّى زمان الترائي الوحيد الذي ينقله والذي يعلن أنّه تمّ في الجليل ؛ أمّا لوقا فإنّه يحدد كلّ ظهورات الرب في أورشليم[٤]، وفي يوم واحد، هو يوم القيامة[٥]، وهو بذلك يقدّم مؤلّفاً أدبيّاً - شبيهاً لما يقوم به عندما ينقل مشهد زيارة يسوع الافتتاحيّة للناصرة انطلاقاً من بعض الأحداث (لو ٤: ١٦-٣٠) - ثمّ لا يخفي بعد ذلك دوره في هذا المشهد، فيتكلّم في أع ١: ٣ على ترائي يسوع لتلاميذه مدّة أربعين يوماً. لقد أراد لوقا أن ينهي حياة يسوع الأرضيّة في مساء يوم الفصح ليفسح في المجال لولادة الكنيسة يوم العنصرة، وأراد أن يكون الصعود في أورشليم، لأنّ الانجيل يجب أن ينطلق من المدينة المقدّسة. لكنّنا، إن قرأنا نصوص الأحداث بتمعّن، نستنتج بأنّ هذه الأحداث كلّها لا يمكن أن تكون قد تمّت خلال أربع وعشرين ساعة. فمهما كانت المسافة بين أورشليم وعماوس[٦]، فإنّ التلمذين لن يتركا عمّاوس إلا بعد العشاء (٢٤: ٢٩-٣٠)، فكان عليهما أن يعودا الى أورشليم للقاء الأحد عشر، وإخبارهم بما حدث، قبل أن يتراءى يسوع لهم، ويبدد شكوكهم، ويوصل إليهم رسالته، ثمّ يقودهم الى بيت عنيا، حيث سيصعد الى السماء. إنّ تأريخاً دقيقاً لكلّ هذه الأحداث لا يمكن أن يضع الصعود، مثلاً، إلاّ في صباح اليوم التالي؛ وقد شعر لوقا بهذه الضرورة في أع ١: ٣. فالمقصود من خاتمة إنجيل لوقا هو التأكيد على أن يوم الفصح هو أساس الإيمان المسيحي وأساس بشرى القيامة، ولهذا فإنّه لا يهتمّ بإعطاء تأريخ دقيق للأحداث، مع أنّه يعرف لهذه الأحداث تأريخاً مغايراً نجده في بداية كتاب الأعمال، حيث نقرأ أنّ يسوع ظهر للأحد عشر طيلة أربعين يوماً بعد الآلام والموت[٧]. إنّ كلّ ما يريده لوقا هو إظهار أحداث القيامة كتمجيد نهائي ليسوع، وبالتالي، فإنّ بين يوم الترائيات الوحيد في لو ٢٤، وبين الأربعين يوماً في أع ١: ٣، لا يوجد أي تناقض بالنسبة إلى لوقا؛ كذلك الأمر بين الصعود في خلال يوم الفصح، والصعود بعد أربعين يوماً (أع ١: ٦-١١). لقد اختار لوقا تجميع كل ترائيات يسوع القائم من الموت في

٤- لا يخبر لوقا إلاّ عن الظهورات في اليهوديّة: على طريق عماوس (٢٤: ١٣-٣١)، وفي أورشليم (راجع ٢٤: ٣٣ت، ٤٩، ٥٢)، مع أنّه يبدو عارفاً بالتقليد القائل بترائي الرب في الجليل.

٥- اقترح بعض الشراح بأن يقسم نص لو ٢٤: ٣٦-٥٣ إلى قسمَين: الأوّل ٢٤: ٣٦-٤٣، والثاني ٢٤: ٤٤-٥٣، ممّا يعني أنّه ينقل حادثتَين مختلفتَين، وهذا ما لا يظهره النص.

٦- يختلف الشرّاح حول تفسير المسافة التي يعطيها لوقا في ٢٤: ١٣، وبالتالي يبقى مكان عماوس غير محدّد تماماً.

٧- لقد شغل هذا التناقض بين التأريخَين الشارحَين لمدّة طويلة وربّما كان السبب في سقوط لو ٢٤: ٥١ب في العديد من المخطوطات القديمة، وقد قاد الاختصاصيّين إلى افتراضات أدبيّة متعدّدة، فاعتبر البعض بأنّ لوقا لم يعرف بظهور يسوع لمدّة أربعين يوماً إلاّ بعد كتابته للإنجيل، في حين أنّ البعض الآخر اعتبر بأنّ كتاب الأعمال قد عدّل فيما بعد بإضافة أع ١: ٣-١٢، ممّا أدّى إلى فصل كتاب لوقا إلى كتابَين: الإنجيل وأعمال الرسل. لكن هذه الحلول ليست سوى افتراضات لا تستند إلى أي من المخطوطات القديمة، كما تفترض بأن لو ٢٤: ٥١ يعطي تحديداً لوقت الصعود، في حين أنّ دراسة خاتمة الإنجيل تظهر بوضوح نيّة لوقا البعيدة تماماً عن هذا الهدف.

اليوم الأحد من الأسبوع[٨]، كما اختار لها أورشليم كمكان أساسي يتمّ فيه تاريخ الخلاص[٩]. إنّ لوقا يريد أن يظهر وحدة الحدث الفصحي في صورة مبسّطة محورها أورشليم.

ويوزّع يوحنّا الترائيات على مدى أسبوع، وذلك بحسب مبدأ يتّبعه الرسول، ويقضي بحصر الأحداث الهامّة بمدّة أسبوع، وهذا ما يفعله بأحداث الآلام (يو ١٢:١)، وربّما بأحداث الأسبوع الافتتاحي (يو ١:١٩-٢:١١).

- في اليوم أحد من الأسبوع

نجد عبارة في اليوم «واحد، أحد» من الأسبوع – η μια των σαββατον – في الأناجيل الأربعة (مر ١٦:٢؛ مت ٢٨:١؛ يو ٢٠:١؛ لو ٢٤:١)، وفي ذلك تأثير سامي واضح على اللّغة اليونانيّة، لكن الأكيد هو أنّ استعمال الانجيليّين لهذه العبارة دلالة لا ريب فيها على كونها قد أصبحت، عند كتابة الأناجيل، عبارة خاصّة بيوم الأحد كيوم مقدّس عند المسيحيّين (أع ٢٠:٧؛ ١ كور ١٦:٢؛ يو ٢٠:١٩). يبدو أنّ التقليد المختصّ باليوم «الأحد من الأسبوع» كان معروفاً منذ حوالي السنة ٥٥، حيث نقرأ في ١ كو ١٦:٢: «إعلموا أنتم أيضاً بما رتّبته في كنائس غلاطية، وهو أن يضع كلّ منكم، في أوّل يوم من كلّ أسبوع، الى جانب ما تيسّر ادّخاره...»، ممّا يعني أنّ اليوم «الأحد من كلّ أسبوع» قد أخذ مكان اليوم «السابع» (السبت). فمن أين أتى هذا التغيير، وما هي موجباته؟

إنّ تحديد اليوم المقدّس المسيحي باليوم الأحد من الأسبوع، هو بعلاقة مباشرة مع توقيت زيارة النساء الى القبر واكتشاف فراغه. إنّ العادة القاضية بزيارة النساء الى القبر كانت معروفة في التقاليد المعاصرة للنصوص الإنجيليّة، ولكن كيف أمكن تحديد هذه الزيارة باليوم «الأحد من الأسبوع»؟

من الواضح أن لا علاقة مباشرة لهذا التحديد مع ظهورات يسوع القائم من الموت، إذ أنّ هذه الترائيات موزعة، كما رأينا، على أيّام عديدة وأماكن متعدّدة، فلا يبقى لنا إذاً سوى الالتفات الى اكتشاف القبر الفارغ كدلالة على قيامة المسيح. إنّ تحديد اليوم الأحد (أو الأوّل) من الأسبوع لاكتشاف القبر الفارغ، يعطي تفسيراً للقيامة في اليوم الثالث. فانطلاقاً من صباح القيامة المرتكز على اكتشاف القبر فارغاً، تعطي تفسيراً للقيامة في اليوم الثالث. فانطلاقاً من صباح القيامة المرتكز على اكتشاف القبر فارغاً، وبالعودة إلى موت يسوع يوم الجمعة، نحصل على ثلاثة أيّام، ممّا يعني أنّنا بعيدون عن منطق التأريخ كعلم بحت. لكنّنا من جهة ثانية، نجد عبارة «اليوم الثالث» كتحديد زمني واضح للقيامة في نص يتمتّع بأقدميّة بالغة، هو ١ كو ١٥:٤. في هذا النص الأخير يفرض التفسير التأريخي نفسه بشكل بديهي، رغم أنّنا لا نستطيع أن ننفي معطيات أخرى لتوضيح هذا الموضوع. في نصوص إعلان يسوع عن موته وقيامته (مر ٨:٣١؛ ٩:٣١؛ ١٠:٣٣-٣٤)، وفي ملاحظة تتبع حيث التجلّي، «أوصاهم يسوع أن لا يخبروا أحداً بما رأوا إلا متى قام ابن الإنسان من بين الأموات» (مر ٩:٩)؛ وفي قول ليسوع يدخل في نص الآلام وإعلان نكران بطرس، يقول يسوع: «بعد قيامتي أسبقكم الى الجليل» (مر ١٤:٢٨)؛ ويتذكّر الحرّاس أنّ هذا المضلّل قال سأقوم بعد ثلاثة أيّام» (مت ٢٧:٦٣). إنّ عبارة «بعد ثلاثة أيّام» تجعلنا نفكّر بأنّها كتبت بعد القيامة[١٠]، لكن ذلك ليس التفسير الوحيد الممكن؛ فعبارة «في اليوم الثالث» أو «بعد ثلاثة أيّام» هي عبارة لا تعني إطلاقاً ثمانياً وأربعين ساعة، لأنّها في الكتاب المقدّس تعني زمناً يسيراً، وهي ترمز في النصوص اليهوديّة الى أمانة اللّه الذي لا يترك من هو في الضيق يتعذّب طويلاً. ولربما كان في ذلك تتميماً لنبوءة هوشع ٦:٢، كما يشرحها الترجوم: «يحيينا بعد يومين ويقيمنا في اليوم الثالث». فالمقصود إذاً إظهار القيامة كتتميم لتنبوءات العهد القديم، وهو ما يؤكّد عليه كتاب أعمال الرسل في إعلانه أن في القيامة تتميماً للمزمور ١١١: «لا تدع قدوسك يرى فسادا» (أع ٢:٢٥-٣١؛ ١٣:٣٥-٣٧).

راجع:

E. Charpentier, *Christ est ressuscité*, Cahiers Évangile n°3, Cerf: Paris, 1973.
X. Leon-Dufour, *Résurrection de Jésus et message pascal*, Paris, 1971.
E. de Surgy et alt., *La résurrection du Christ et l'exégèse moderne*, Paris, 1969.
L. Schenke, *Le tombeau vide et l'annonce de la résurrection*, Paris, 1970.
M. Gourgues, *À la droite de Dieu. Résurrection de Jésus et actualisation du Psaume 110, 1 dans le Nouveau Testament*, Paris, 1978.

٨- ليست هذه الطريقة غريبة عن لوقا، فنحن نجدها في نصوص أخرى عديدة حيث نلاحظ بأنّه أحدث تغييرات في مصادره إن في الإنجيل (قارن لو ٤:١٦-٢٠ ومتّى ١٣:٥٣-٥٨ ومر ٦:١-٦؛ لو ٥:١-١١ ومتّى ٤:١٨-٢٢ ومر ١:١٦-٢٠) أو في الأعمال كمثل الفصل بين ٨:٤ و١١:١٩ بحيث يعطي للتلاميذ فرصة أخذ المبادرة بتبشير الأمم).

٩- يصعد يسوع إلى أورشليم ليتم رسالته (لو ٩:٣١، ٥١؛ ١٣:٣٣)، وفيها يتمّ سرّ الآلام والمجد، ومنها سيشع الإنجيل على العالم (لو ٢٤:٤٧؛ أع ١:٨).

«وبعد ثمانية أيام... جاء يسوع» (يو ٢٠:٢٦)

د. منى عبيد

في إنجيل القيامة، في الفصل ٢٠، يسرد لنا الإنجيلي يوحنا ترائي الرب القائم لتلميذته المجدلية ولبقية تلاميذه، في نفس يوم قيامته، «اليوم الأول».

سنتوقف بالتحديد عند تعبير الكاتب الملهم في آ ٢٦: «وبعد ثمانية أيام»، دون أن ننسى جوهر الآيات الباقية في هذا الفصل.

نجد هنا إصراراً من الإنجيلي يوحنا في تركيزه الانتباه على «يوم الرب»، «**يوم القيامة**»، في تكراره التعبير «اليوم الأول»، بدءاً من الآية الأولى: «**اليوم الأول**» (τη μια)، ومن ثم في آ ١٩، وللمرة الثالثة، وبشكل جديد، في آ ٢٦: «وبعد ثمانية أيام»، **٧+١** ، أي «**اليوم الثامن**».

يجعل يوحنا من الأحدَين **البداية والنهاية**.

«وبعد ثمانية أيام»، أي بعد سبعة أيام على قيامة الرب من الموت؛ اليوم الأول من جديد، يوم **الأحد** مرة أخرى، يوم القيامة والترائي مباشرة (رج آ ١، ١٩، ٢٦).

«قيامة الرب» من بين الأموات هي

اليوم الثامن هو صدى لليوم الأول الذي فيه قام الرب، يوم البدء الجديد

قيامة الرب يسوع: رسم على الزجاج للفنان پَاولُو أُتْشِيلُّو (Paolo Uccello) – فلورنسا.

حدث وحيد في تاريخ البشرية، هي يوم إظهار كمال الحب الإلهي لكل البشر. يوم الرب، يوم خلاص البشرية.

«اليوم الثامن» هو ذاته «اليوم الأول»، يوم البدء الجديد، الذي يتكرر في بدء جديد؛ هو الأول الجديد من سلسلة **آحاد**، «يقوم» فيها الرب، يأتي ويتراءى؛ هو بدء جديد لسلسة بدايات لا تنتهي حتى مجيئه الأخير، الأحد الأخير، **الأول الأخير**.

في معنى عبارة «وبعد ثمانية أيام» تسلسلٌ زمنيٌّ مع يوم حدث القيامة، خاصة مع وجود حرف العطف «واو» (και)؛ تفصيل زمني يدمج المؤمن **بيوم انتصار القائم** على الموت، يوم البدء الجديد، يوم الخلق **الجديد** (رج تك ١:١).

في التعبير «وبعد ثمانية أيام» تواصلُ البداياتِ مع البدء الجديد، الذي هو يسوع المسيح، الرب القائم؛ احتفالٌ بالقيامة المجيدة، بـ«يوم الرب» (رج رؤ ١:١٠)؛ احتفالٌ بمجيئه، ترائيه وحضوره المتواصل؛ احتفالٌ باستلام روحه القدوس من «نسمته المقدسة» (رج تك ٢:٧)، منه هو الحي القائم ببشريته، نسمة حياة، فيعود الإنسان نفساً حية من جديد.

عندما يأتي الرب يفعل. إنه يظهر نفسه لتلاميذه، وهؤلاء يرونه، يسمعونه ويلمسونه. «القائم» يريهم يديه المقدستين وجنبه المقدس، يتحدث إليهم، ينفخ فيهم روحه، يملأهم فرحاً وسلاماً، ويقوي إيمانهم لتكون لهم الحياة الأبدية باسمه.

«اليوم الثامن»، «اليوم الأول»، هو يوم **الزمن الجديد** في الله. هو يوم انتهاء الخوف (رج آ ١٩: «أغلقت الأبواب خوفا»؛ آ ٢٦: «وبعد ثمانية أيام... الأبواب مغلقة... فجاء يسوع»). الرب القائم يأتي ويقيم في «وسطهم». إنه يوم عودته من أجل من يحب ليساعده كي يجده، مثلما عاد بشكل خاص لأجل توما.

القائم يأتي ويبقى. يأتي دائماً ويبقى من خلال روحه، فيتأمل كل من يؤمن به ببشريته القائمة، وألوهيته المتجسدة، وينتظر مجيئه «الجديد الأخير»، في **يوم الرب العظيم**، مرنماً: «تعال، أيها الرب يسوع» (رؤ ٢٢:٢٠). آمين.

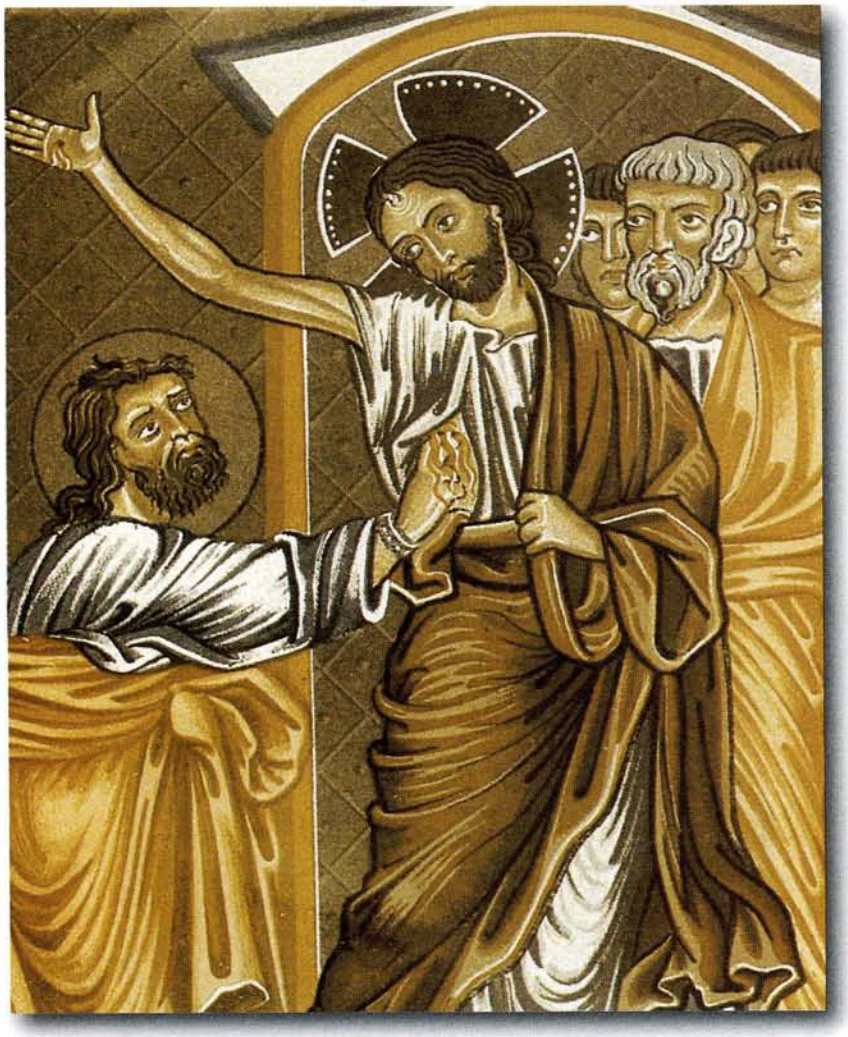

في اليوم الثامن، رأى توما الرب القائم من الموت فآمن (يو ٢٠:٢٦-٢٩)

إنجيل مصوّر من القرن الثاني عشر

يومُ الربّ
(رؤ ١: ٩-١٠)

ماري عطاالله خليفة

داود واثنان من العازفين يسبّحون الربّ

مقدّمة

«أنا يوحنا أخوكم وشريككم في الضيق والملكوت والثبات في يسوع، كنت في الجزيرة المدعوّة بطمس، في سبيل كلمة الله وشهادة يسوع، انتقلت في الروح يوم الرب، فسمعت ورائي صوتاً عظيماً كصوت بوق».

سفر الرؤيا هو ملحمة الرجاء المسيحي، فـ «الآتون من الضيق الشديد وقد غسلوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل» هم «أمام عرش الله» وفي حمايته (٧: ١٤-١٥). إنه كتاب ليتورجي يُقرأ في الجماعة التي تسمع (١: ٣). في يوم الرب، وفي إطار ليتورجي، إنتقل يوحنا بالروح (١: ٩-١٠) وحصل بواسطة ملاك الله على وحي يسوع المسيح الذي أفضى به الله إليه (١: ١)، وهو ينقل هذا الوحي للكنائس السبع أي لكل الكنيسة.

فمن هو يوحنا، وما هو يوم الرب، ولماذا انتقاله بالروح كان في هذا اليوم بالذات؟

١- «أنا يوحنا»

يوحنا، كاتب سفر الرؤيا، هو يذكر

اسمه، وللمرّة الثالثة هنا في الآية ٩ (راجع ١:١و٤)، ويُسبقها بكلمة «أنا». هذه الـ «أنا» تذكّر بدانيال ٧:١٠: «فرأيت الرؤيا أنا دانيال وحدي...» (راجع دا ٧:١٥,٢٨؛ ٨:١,١٥,٢٧)، وهي تؤكّد السلطة النبويّة للكاتب، وتجعل من سفر الرؤيا كتاباً نبوياً. النبي هو من يُعلن عن اسمه صراحة، بينما كتّاب الأدب الرؤيوي ينسبون رؤاهم لأشخاص يعيشون في سرّ الله. ولكن التقارب الأهمّ هو في تعريف يسوع عن ذاته بقوله «أنا هو» التي تتردّد في أقوال يسوع ولاسيما في إنجيل يوحنا (يو ٤:٢٦؛ ٦:٣٥،٤١،٥٤؛ ١٠:٧؛ ١١:٢٥؛ ١٥:١).

من المؤكّد ان اسم يوحنا له سلطان كبير على قارئيه وسامعيه. فهو ليس بحاجة ليُتبع اسمه بأي صفة تعرّف عنه كيوحنا الرسول أو يوحنا التلميذ ولكن يكتفي بيوحنا فقط. حتماً هو معروف في الكنيسة الأولى ومسؤول فيها؛ إنه يكتب إلى الكنائس السبع، ويتوجّه إليها كرئيس لها. ووجوده في جزيرة بطمس، منفى رجال السياسة والدين، يدل على مركزه المهم والمؤثّر في الجماعة إذ يدفعهم لرفض عبادة الإمبراطور السائدة، ويثبّتهم على الإيمان بالمسيح «رب الأرباب وملك الملوك» (١٧:١٤). ولكن المنفى لم يُسكته، بل جعله أكثر فصاحة، فجاءت رؤياه رسالة للكنيسة جمعاء تتحدّى الطغاة على مرّ الأجيال.

هذا المنفى جعله شريك الجماعة المسيحية في اضطهاد الامبراطور لها، لذا يقدّم نفسه كأخ وشريك. والأخوّة هي صفة الكنيسة (مر ٣:٣٣-٣٥؛ متى ٢٣:٨؛ لو ٢٢:٣٢؛ يو ٢١:٢٣؛ الخ)، كلنا إخوة بيسوع المسيح (متى ٢٨:١٠؛ روم ٨:٢٩) لأب واحد هو الله الآب. وهذه الأخوّة هي شركة، فيوحنا يعلن تضامنه مع الجماعة المسيحية كلها في آلامها، وانتصارها على الشر، وثباتها في يسوع من أجل كلمة الله والشهادة ليسوع المسيح. وهو يحدّد حصول الرؤيا «يوم الرب» ليؤكّد انه في شركة بالاحتفال الليتورجي مع كنائس آسيا.

٢- «يوم الرب»

و«يوم الرب» هذا، كما جاء في رؤيا ١:١٠، هو حرفياً «اليوم السيدي»، وهو تعبير فريد لسفر الرؤيا يعبّر عن الأحد، يوم قيامة الرب. أما الإنجيليون ومار بولس فقد استعملوا « اليوم الأول من الاسبوع» (متى ٢٨:١؛ يو ٢٠:١و١٩؛ مر ١٦:٢؛ لو ٢٤:١؛ رسل ٢٠:٧؛ ١ قور ١٦:٢) ليضعوا فاصلاً بين السبت اليهودي والأحد المسيحي. فـ «اليوم الأول من الأسبوع» ليس تواصلاً للسبت اليهودي ولكنه ذو طابع خاص. ففيه حصلت القيامة وهي خلق جديد كما في اليوم الأول من الأسبوع الكوني، حيث بدأ الله الخلق، وكان النور (تك ١:٣-٥). أما «يوم الله» (٢بط ٣:١٢) و«يوم الرب» يسوع (رسل ٢:٢٠؛ ١قور ١:٨؛ ٥:٥؛ ٢قور ١:١٤؛ فل ١:٦,١٠؛ ٢:١٦؛ ١تس ٥:٢) فهو يوم مجيئه الأخير، للدينونة، كما هو المعنى في أسفار العهد القديم.

يتكلّم مار بولس في ١ قور ١٦:٢ عن إجتماع «كل أوّل يوم من الأسبوع»، بينما سفر الأعمال يحدّد قائلاً: «واجتمعنا، في اليوم الأول من الأسبوع، لكسر الخبز» (رسل ٢٠:٧).

اذاً، «يوم الرب» هو اليوم الذي تجتمع فيه الجماعة الكنسية لتعيش فصح الرب، ليس يوم الفصح السنوي، ولكن كل أول أسبوع تحتفل الكنيسة بالرب القائم من الموت، الحاضر والفاعل في وسط الكنيسة، والذي يحمل ألقاب الله، هو «الكائن والذي كان والآتي» (١:٤ب و٨أ). هو يعرّف عن ذاته بهذه الكلمات: «أنا الألف والياء» (١:٨أ)، «الأول والآخر، والحي، وقد كنت ميتاً، وها اني حيّ لدهور الدهور، ولي مفاتيح الموت والجحيم» (١:١٧ب-١٨). ففي اجتماعهم الاسبوعي يلتقي المسيحيون حول هذا المسيح وباسمه.

يتميّز هذا اليوم في رؤ ١:٩-١٠ بحوار ليتورجي، فيه يتحدّث يوحنا الى الجماعة وهي تسمع، وهو خطاب مباشر «أخوكم وشريككم». الحوار الليتورجي يدور بين إخوة، يستمعون، يتفاهمون، وذلك ينمّ عن شركة عميقة فيما بينهم. عناصر الاتحاد والشركة هي الضيق الذي يأتي من ضغط العالم الخارجي؛ وهي المسؤولية التي يضطلع بها المسيحيون الذين عليهم ان يتعاونوا بجدّية مع المسيح لانتصار الخير، ويعبّرون عنها بال «أبانا»، الصلاة النموذجية لجماعة الأحد، عندما يصرخون : ليأتِ ملكوتك؛ وهي الثبات والاتحاد بيسوع المسيح رغم كل الاضطهادات.

محور هذا الحوار وإطاره قيامة الرب الحاضر في الجماعة الليتورجية وهي متّحدة بكل قوّتها وبكل فعاليتها. ففي هذا الإطار يتحرّك الأفراد، وأساسه الجماعة الليتورجية الاسبوعية المعروفة باجتماع الاخوة. وفيها تتنقّى الجماعة الكنسية واضعة ذاتها تحت حكم المسيح

القائم. ثم تدرس، في وضعها الجديد النقي، المستنير بالقائم من الموت، تاريخها بطريقة تساعدها ان تساهم في الجهاد للانتصار مع المسيح. يوحنا يشعر انه مدعو، وهو ممتلئ من الروح، ليقوم بهذه المهمة.

٣- «يوم الرب» يوم ارتقاء الروح

لم يكن يوحنا وحده في الروح «يوم الرب». كل الكنيسة في اجتماعها الليتورجي هي تحت سلطة الروح. فيوم الأحد هو ايضاً «يوم النار» نظراً الى عطية الروح القدس. يسوع القائم من الموت يعطي الروح لتلاميذه عشية أحد الفصح (يو ٢٠:٢٢-٢٣). وكان يوم أحد، خمسين يوماً بعد القيامة، عندما حلّ الروح القدس بقوّة «كريح شديدة» و«بهيئة نار» على الرسل (رسل ٢:٢-٣). وهذه العنصرة هي سر ينعش الكنيسة باستمرار، وهي بعلاقة وثيقة بالسر الفصحي، كيف لا، والذبيحة الإلهية لا تتم الاّ بعد استحضار الروح القدس على القرابين. لذا كان من الطبيعي ان يكون انتقال الكاتب بالروح «يوم الرب». ولكن هذا الانتقال ليس انخطافاً يُفقد الكاتب حواسه وطاقته الروحية والعقلية، بل هو على طريقة الأنبياء الأقدمين. بعقلٍ واعٍ يسجّل ما أوحي به الى عينيه وأعلن الى أذنيه فينقله الى المؤمنين. كان يتكلّم كنبي موجّه بروح النبوّة (١٩:١٠). وروح النبوّة الذي ينعش عمل يوحنا ليس الاّ الروح القدس الذي يتكلّم الى الكنائس (٢:٧و١١و١٧و٢٩...) وهو معطي الوحي (١:٤؛ ١٤:١٣). فعندما يقول «انتقلت في الروح» يعبّر عن ان بينه كنبي وبين الروح قامت علاقة من نوع خاص جعلته يتحرّك بدفع من هذا الروح.

وهذا الانتقال بالروح (١:١٠) يتردّد في بداية القسم الثاني من الرؤيا (٤:٢). فالانتقال الأول يتبع دعوة المسيح الى التوبة، فهو يطلب الى الكنيسة ان تتنقّى وثمرتها التجديد. والثاني يتبع العمل المضني لقراءة علامات الزمن التي على الجماعة المسيحية القيام بها.

على الكنيسة ان تنظر الى داخلها ومن حولها، وتتفحص من خلال ليتورجيتها الاوضاع الصعبة والمعقّدة لتصل الى التوجيه الأساسي الذي يضيء طريقها.

الخاتمة

الرؤيا تدعونا، دون ان تعطينا معلومات دقيقة،لنفكّر بـ «يوم الرب» في جوهره ومفاهيمه الأساسية. فالذي تقوله لنا يتعلّق مباشرة باحتفالنا الأسبوعي واليومي لـ«يوم الرب»، فيذهب تفكيرنا الى الذبيحة. فـ «يوم الرب» يضعنا دائماً برباط مع المسيح القائم، ويجعلنا نشعر اننا متّحدون وإخوة في العمل، ويحثّنا على تنقية ذواتنا، وأخيراً يدفعنا الى المساهمة الفعلية التي علينا ان نقوم بها في هذا المشروع الكبير، مشروع الخلاص.

فـ «يوم الرب» كتذكار حدثٍ ماضٍ للقيامة، يقيم، في الاحتفال الليتورجي للفصح الأسبوعي، لقاءً آنياً للكنيسة بسيّدها؛ وهو ايضاً يتوجّه نحو المستقبل ليُعلن، ويستبق بطريقة ما، عودة القائم الظافرة، حين يأتي ليحتفل مع مختاريه بالفصح الأبدي.

راجع:

Une lecture de l'Apocalypse, Cahiers Evangile II, Cerf, Paris, 1975.

BARSOTTI Divo, *L'Apocalypse,* Téqui, Paris, 1974.

BONSIRVEN Joseph s.j., *L'Apocalypse de St Jean*, Verbum Salutis XVI, Beauchesne et fils, 1951.

BRÜTSEH Charles, La clarté de *l'Apocalypse*, Labor et Fides, Genève, 1966.

CHARLIER Jean-Pierre, *Comprendre l'Apocalypse* t.1, lire la Bible 89, Cerf, Paris, 1991.

CUVILLER Elian, *Les Apocalypses du N.T.*, Cahiers Evangile 110, Cerf, 1999.

DUDA Bonaventure, J'ai été mort et me voici vivant, Ap 1,9-11a. 12-13. 17-19. AS 23 (1971), 44-54, Cerf.

FENASSE Jean-Marie, Le jour du Seigneur, Ap. 1,10, BVC N°61 (1965), pp. 29-43, Desclée.

LÄPPLE A., *L'Apocalypse de Jean*, Lire la Bible 24, Cerf, Paris, 1970.

MOLLAT Donatien, *Une lecture pour aujourd'hui: L'Apocalypse*, Lire la Bible 58, Cerf, Paris, 1982.

PRIGENT Pierre, *Et le ciel s'ouvrit*, Cerf, Paris, 1980.

PRIGENT Pierre, *L'Apocalypse*, Cerf, Paris, 1998.

PRIGENT Pierre, *L'Apocalypse de St Jean*, Commentaire du NT XIV, Delachaux et Niestlé, Paris, 1981.

RAMLOT, *Apparition du Ressuscité au déporté de Patmos*, BVC N°36 (1960), 16-25, Casterman, Paris.

TRESMONTANT Claude, *Apocalypse de Jean*, OEIL, Paris, 1985.

VANNI Vgo, *Apocalisse*, Queriniana, Brescia, 1980, pp. 87-91.

الكتاب المقدّس، العهد الجديد، كليّة اللاّهوت الحبريّة، جامعة الروح القدس – الكسليك، لبنان، ١٩٩٢.

الفغالي الخوري بولس، رؤيا القدّيس يوحنّا، دراسات بيبلية ١١، الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٥.

يومُ الرّب
يوحنا بولس الثاني

أ. لويس الخوند

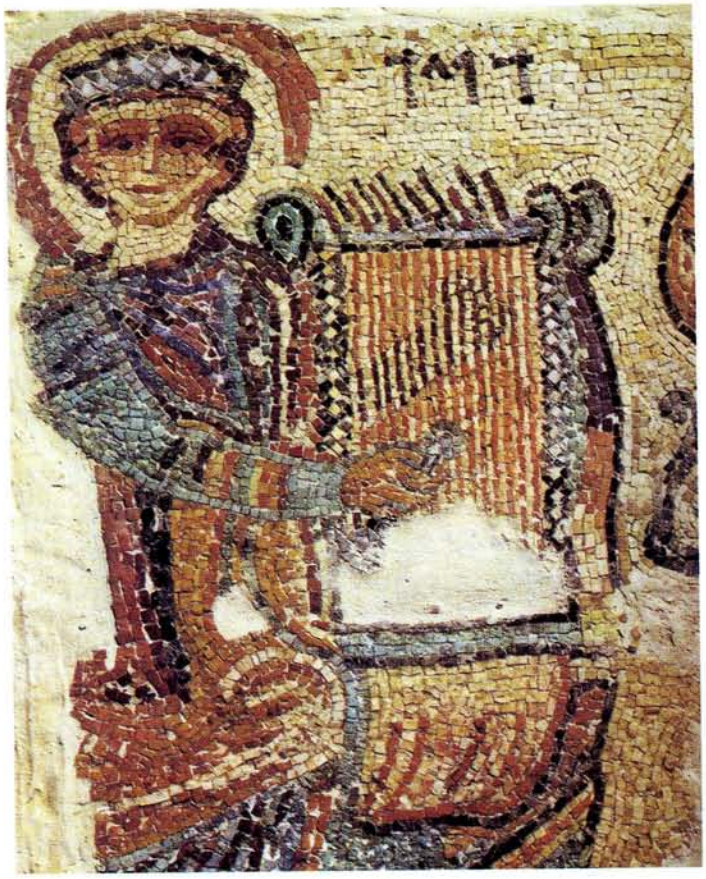

فسيفساء من القرن السادس، من مجمع غزة،
تمثل الملك داود يعزف على القيثارة

المقدّمة

رسالة رسولية من قداسة البابا يوحنا بولس الثاني الى الأساقفة والكهنة والعائلات الروحيّة ومؤمني الكنيسة الكاثوليكية في تقديس يوم الأحد (١٩٩٩/٥/٣١).

تقسم رسالة «يوم الرب» الى مقدمة وخمسة فصول وخاتمة، تناول فيها قداسته «يوم الرب»؛ فهو يوم المسيح، ويوم الكنيسة، ويوم الانسان، ويوم الايام.

معظم الأفكار والمشاعر التي أوحت بهذه الرسالة الرسولية قد اختمرت منذ أسقفيّة كارول ڤويتيلا في كراكوفيا، ومنذ مطلع خدمته، بصفته أسقف روما وخليفة بطرس، في زياراته للرعايا الرومانية، التي قام بها بطريقة منتظمة في آحاد الحوار الحيّ الذي يطيب له أن يعقده مع المؤمنين، متأمّلاً معهم «في معنى الأحد ومنوّهاً بالأسباب التي تدعونا الى أن نعيشه حقيقة يوماً للربّ، حتى في ظروف عصرنا الجديدة» (٣).

يقول قداسته ان يوم الربّ هو «فصح الاسبوع، أي اليوم الذي نحتفل فيه

بانتصار المسيح على الخطيئة وعلى الموت، وباكتمال الخليقة الأولى في شخصه، وبدء الخليقة الجديدة» (٢ قور ٥:١٧). وهو أيضاً «رسم اليوم الأخير» (رسل ٢١:١١)، وفيه يتحقّق «العالم الجديد» (رؤ ٢١:٥).

ويستشهد البابا بالمزمور الذي يدعو الى الفرح بـ«اليوم الذي صنعه الرب» (مز ١١٨:٢٤). ويقول بأنّ هذه الدعوة الى الفرح، عاشها تلميذا عمّاوس (لو ٢٤:٣٢ و٣٥)، والرسل عندما زارهم يسوع القائم من الموت (يو ٢٠:١٩-٢٣). إنّها دعوة الى أن نعيش نحن خبرة الرسل (١)، «بمشاعر فرح مسيحيّ أخوي» (٦)، لأنّ «قيامة يسوع هي العنصر الأساسي الذي يرتكز عليه الايمان المسيحي (١ قور ١٥:١٤). فالقيامة حدث» «يحتلّ في سرّ الإيمان نقطته المركزيّة» (٢).

ويرى قداسة البابا «أن تطوّر الظروف الاجتماعية الاقتصادية قد أدى الى تغيير التصرفات الجماعية تغييراً عميقاً، في ما يخصّ يوم الرب؛ فمنهم من يعتبرون يوم الرب «نهاية الأسبوع»، أي «مجرّد وقت للراحة». في هذا المجال، يقول البابا، «لا بدّ للمسيحيّين أن يكونوا «في انسجام كامل مع عطيّة الإيمان ومستعدّين دوماً أن يقرّروا جواباً عن الرجاء الذي فيهم» (١ بط ٣:١٥) (٤)، «رجاء حيّ بقيامة يسوع المسيح من بين الأموات» (١ بط ١:٣) (٦).

ويدعو يوحنا بولس الثاني الجميع الى أن يعودوا ويكتشفوا قيمة الأحد : «لا تخافوا أن تهبوا وقتكم للمسيح» (٧).

أحاول أن أقدّم «يوم الرب»، متّبعاً تصميم الرسالة، محافظاً على وحدتها، مركّزاً خاصّاً على الاستشهادات الكتابية الوفيرة فيها.

الفصل الأول : يوم الرب - الاحتفال بعمل الخالق

يبدأ قداسته فيستشهد بمقدّمة الانجيل للقديس يوحنا : «به كان كلّ شيء» (يو ١:٣). الأحد «هو الاحتفال بالخليقة الجديدة»، ثمرة تجسّد الكلمة «في ملء الزمن» (غل ٤:٤)، ف «كلّ شيء خلق به وله» (غل ١:٦). وفي «النهاية يسلّم المسيحُ المُلْكَ الى الله الآب حتى يكون الله الكلّ في الكل» (١ قور ١٥:٢٤ و٢٨).

ويرجع البابا الى فجر الخليقة، عندما توقّف الله عن عمله وبارك اليوم السابع وقدّسه (تك ٢:٣). عندها نشأ السبت و«استراحة الله» (تك ٢:٢)، وراحة الشعب حين «دخوله أرض الميعاد» (خر ٣٣:١٤)، و«الراحة السبتية الدائمة» (خر ٤:٩) التي يدعو الله الشعب الى دخولها، «إذا استمرّ في طريق طاعته البنوية» (عب ٤:٣-١٦) (٨).

وفي رسالته العامة في «ممارسة العمل»، يذكّر قداسته ان الفصول الأولى من سفر التكوين هي بمثابة «الانجيل الأول للعمل»، ورأى الله عمله «أنه حسن» (تك ١:١٠و١٢) (٩). وفي هذا «مسؤولية الانسان تجاه الكون» لـ«يسوس العالم بالبرّ والقداسة» (١٠).

فكما «عَمَل» الله هو مثلٌ للانسان، فإنّ القدوة هي أيضاً في «راحة الله»، الذي انتهى «في اليوم السابع من عمله الذي عمله» (تك ٢:٢). ويرى قداسته أن راحة الله ليست «بطالة»، بل وقفة «أمام العمل الحسن جدا» (تك ١:٣١)، يلقي عليه نظرة إعجاب «مفعمة بالفرح والرضى» (١١).

يجعل العهد القديم وصيّة «السبت» مرتبطة بالخلاص حين حرّر الشعب من «عبوديّة مصر» (تث ٥:١٢-١٥). ويربط هذه العلاقة بنبوءة هوشع : أخطبكِ لي بالأمانة فتعرفين الرب» (هو ٢:٢٢) (١٢).

لقد أدرج الله وصيّة الاستراحة يوم السبت في لائحة الوصايا العشر، «التي تحدّد أركان الحياة الاخلاقية المطبوعة في قلب الانسان». والكنيسة تجعلها «في إطار البُنى المناقبيّة الأساسيّة» (١٣). فالله «قدّس» اليوم السابع وجعله «يومه» (١٤). لذا يستنتج قداسته «ان علاقة الانسان بالله بحاجة أيضاً الى فترات محرَّرة للصلاة». لهذا هو أيضاً «يوم راحة» يعترف فيه الانسان بأن «كل شيء من الله». ويوم الربّ يذكّر بأنّ «الكون والتاريخ من الله» (١٥).

فاستناداً الى سفر الخروج، يتوجّب تقديس السبت (خر ٢٠:٨) (١٦)، والموضوع «ذكرى عجائب الله التي حقّقها (تث ٥:١٢-١٥) بإعتاق الشعب من عبوديّة فرعون (تث ٥:١٥). وهكذا يبان التوحيد الكتابي «بين لاهوت الخلق ولاهوت الخلاص». وهذا مدعاة الى «الإشادة بعظائم الله»، فيكتسب «يوم الرب كامل معناه»، ويصبح اشتراك الانسان مع الله «حسناً جدا» (تك ١:٣١) (١٧).

وننتقل من «السبت» الى «اليوم الأول بعد السبت»، ومن اليوم السابع الى اليوم الأول : يوم الرب يصبح «يوم المسيح» (١٨).

الفصل الثاني : يوم المسيح – يوم الرب القائم وعطيّة الروح

يقول البابا: «اننا نحتفل بالأحد بفضل قيامة ربنا يسوع المسيح، لا في يوم الفصح وحسب، بل في كل دورة أسبوعية» (١٩). إن قيامة المسيح تمّت في «اليوم الأول بعد السبت» (مر ٩:٢). ففيه أَظهرَ القائمُ ذاتَه لتلميذي عماوص (لو ٢٤:١٣–١٥)، وللرسل الأحد عشر مجتمعين (لو ٢٤:٣٦)، بعد ثمانية أيام (يو ٢٠:٢٦)، وفيه تحقّق وعد يسوع للرسل بعد القيامة (لو ٢٤:٤٩)، وفيه قَبِلَ الجمع كلام بطرس و«اعتمدوا» (رسل ٢:٤١) (٢٠).

وعلى هذا الأساس، بدأ اليوم الأول بعد السبت ينظّم حياة أتباع يسوع (١ قور ١٦:٢). وهو اليوم الذي صنع فيه بولس معجزة ردّ بها الحياة الى الفتى أوطيخوس (رسل ٢٠:٧–١٢). ويقول سفر الرؤيا بأنّ المسيحيين سمّوا هذا اليوم «يوم الرب» (رؤ ١:١٠)، استناداً الى البلاغ الفصحي : «يسوع المسيح رب» (فل ٢:١١) (٢١).

واستناداً الى التقليد الرسولي، يُلاَحَظُ التطوّر في التمييز بين السبت والأحد. استمرّ الرسل «في التردّد الى المجمع ليبشّروا بيسوع المسيح ويفسّروا أقوال الأنبياء التي تتلى في كلّ سبت» (رسل ١٣:٢٧). ثمّ أخذ المسيحيّون يميّزون «بين السبت والأحد» (٢٣). «والواقع أن الفكر المسيحي قد أقام عفوياً الصلة بين القيامة التي وقعت في اليوم الأوّل بعد السبت واليوم الأول في الأسبوع الكوني (تك ١:١)، وهو في سفر التكوين، اليوم الذي تمّ فيه خلق النور (تك ١:٣–٥). فبالقيامة صار المسيح «بكر كلّ خليقة» (قول ١:١٥)، و«البكر بين الأموات» (قول ١:١٨) (٢٤) و«نور العالم» (يو ٩:٥)، «الشارق من العلى ليضيء للقاعدين في الظلمة وظلال الموت» (لو ١:٧٨–٧٩)، «نوراً ينجلي للأمم» (لو ٢:٣٢) (٢٧).

إنّ يوم «المسيح – النور» هو أيضاً «يوم موهبة الروح» الذي أعطاه المسيح لرسله: «خذوا الروح القدس» (يو ٢٠:٢٢) النار (رسل ٢:٢–٣) (٢٨)، «ذاكرة الكنيسة الحيّة» (يو ١٤:٢٦)، لنكون مؤمنين (يو ٢٠:٢٧)، ونعترف مع توما الرسول : «أنت ربي وإلهي» (يو ٢٠:٢٨) (٢٩).

لذا فهذا اليوم هو اليوم الذي لا يمكن الاستغناء عنه». فيه تجد الكنيسة نفسها

الملك داود، مؤسس النسل المسيحاني الداودي،
ينقر قيثارته تسبيحاً للرب

مدعوّة «الى تجديد التزامها على صعيد التعليم الديني والنشاط الرعائي» (٣٠). فيوم الرب، يوم المسيح، هو أيضاً يوم الكنيسة.

الفصل الثالث : يوم الكنيسة – الاجتماع الافخارستي هو قلب الأحد

يذكّر قداسة البابا بوعد المسيح: «هاأنذا معكم طوال الأيام الى انقضاء الدهر» (متى ٢٨:٢٠)، الذي تجد فيه الكنيسة «خصب حياتها وينبوع رجائها». فالرب الناهض من القبر هو الذي «يجمع شمل أبناء الله» (يو ١١:٥٢). لقد أصبحوا واحداً في المسيح (غل ٣:٢٨)، «أناس من كل قبيلة ولسان، وشعب وأمّة» (رؤ ٥:٩)، «يتابعون تعليم الرسل والحياة المشتركة وكسر الخبز والصلاة» (رسل ٢:٤٢) (٣١).

فالجماعة الافخارستية تشترك «في الخبز الواحد» (١ قور ١٠:١٧) (٣٢)، والمسيحيون، في قداس الأحد، يستعيدون خبرة الرسل المجتمعين عشية الفصح، عندما ظهر لهم المسيح القائم» (يو ٢٠:١٩). فـ «طوبى لمن لم يروا وآمنوا» (يو ٢٠:٢٩) (٣٣).

و«افخارستيا الأحد» «انعكاس تجلّي الكنيسة» (٣٤). «وهكذا يتبيّن أن يوم الربّ هو أيضاً يوم الكنيسة» (٣٥)، والعائلات (الكنائس البيتية)، والرعية (الجماعة الافخارستية)، والجماعات الرهبانية» (٣٦) والشعب «العرسي»، أورشليم الجديدة «المهيّأة كعروس مزيّنة لعروسها» (رؤ ٢١:٢) (٣٧).

فإذا كان الأحد، «هو يوم الإيمان، فهو أيضاً يوم الرجاء المسيحي. والمشاركة في عشاء الرب إنما هي استباق للوليمة الاخروية لعرس الحمل» (رؤ ١٩:٩) (٣٨). ففي اجتماع الأحد تتمّ المشاركة في المائدتين : مائدة الكلمة ومائدة خبز الحياة» (٣٩).

لذا على «القائمين بخدمة الكلمة»، أن يشرحوا كلام الرب «في ضوء قضايا الناس وحياة أهل زماننا» (٤٠). فعلى غرار الشعب في برية سيناء (خر ١٩:٧-٨)، ينتظر الله منا جواباً : «آمين» (٢ قور ١:٢٠-٢٢) (٤١).

وبالمسيح، في وحدة الروح القدس، على «مائدة جسد المسيح»، تجدّد الجماعة المسيحية وعيها أن الأشياء كلّها خلقت بالمسيح (قول ١:١٦)، الذي به تجدّدت الطبيعة البشريّة (أف ١:١٠)، ويشخص شعب الله «بالايمان والرجاء الى الزمان الأخروي، حين يسلّم المسيح الملك الى الله الآب، «ليكون الله كلاً في الكل» (١ قور ١٥:٢٤ و٢٨) (٤٢). «والواقع ان القداس إنما هو التمثيل الحيّ لذبيحة الصليب» (٤٣). «ولذا توصي الكنيسة المؤمنين بالتناول عندما يشتركون في الافخارستيا»، شرط التطوع «للمحبة المتبادلة بالمشاركة في الخبز الواحد وتذكّر كلام المسيح الجازم» (متى ٥:٢٣-٢٤) (٤٤).

إنّ تلاميذ المسيح عندما يتناولون خبز الحياة، ينطلقون الى الرسالة، الى «المهامّ التي تنتظرهم في حياتهم العاديّة»، في محيطهم العادي، مصمّمين أن يجعلوا من حياتهم كلها «عطيّة وذبيحة روحية مرضية لدى الله» (روم ١٢:١)، ويشركوا اخوتهم في فرح لقائهم الرب (لو ٢٤:٣٣-٣٥) (٤٥).

ويرى قداسته في «وصية الأحد» (٤٦) «واجب الضمير» (٤٧)، لأننا نواجه «اوساطاً موصوفة باللامبالاة» (٤٨). فعلى الرعاة «أن يذكّروا المؤمنين بواجب المشاركة في القداس» (٤٩). «لهذه الغاية، لا بدّ من أن نعنى عناية كبيرة بترنيم الجماعة» (٥٠)، «لكي نحسّس جميع الحاضرين من شبان وبالغين بدورهم في الاحتفال» (٥١).

وبالإضافة الى «المشاركة في الافخارستيا»، على أتباع المسيح أن يطبعوا عيالهم والعلاقات الاجتماعية وأوقات الفراغ «بسلام القائم من القبر وفرحِه في نسيج الحياة اليومية» (٥٢).

ويتحدث البابا عن «اجتماعات الأحد في غياب الكاهن» (٥٣)، وعن «النقل الاذاعي والتلفزيوني» (٥٤). فيوم الرب، يوم المسيح، يوم الكنيسة، هو أيضاً يوم الانسان.

الفصل الرابع : يوم الانسان – يوم الأحد : يوم الفرح والراحة والتضامن

يتحدّث قداسة البابا عن «فرح المسيح الكامل» (٥٥)، الذي استقبل به التلاميذُ الأولون المعلّمَ القائم حين أبصروه (يو ٢٠:٢٠)، فتحقّقت كلمته «حزنكم سيؤول الى فرح» (يو ١٦:٢٠). أَلَمْ يصلِّ هو نفسه للتلاميذ «ليكون فرحهم كاملا» (يو ١٧:١٣)، والفرح هو أحد «الروح القدس» (روم ١٤:١٧) (٥٦)؟ «فالفرح هو بمثابة فضيلة لا بدّ من تحصيلها» (٥٧)، «وفي روح الإيمان هذا يصبح الأحد المسيحي لإقامة عيدٍ حقيقي، نهاراً يمنحه الله للإنسان لملء نموّه الانسانيّ والروحي» (٥٨). فعلى المسيحيّ «أن ينادي بالخلق

الجديد» (٥٩)، فيصبح للزمن «مضمون لاهوتي» (٦٠)، إذ ينعش السبتُ «الزمان» (٦١)، «في ضوء لاهوت الأحد وروحانيّته» (٦٢)، فتُحترَم «حقوق الانسان» في التاريخ (٦٣).

ويوم الرب هو أيضاً «يوم الراحة». و«اليوم الذي يجتمع فيه المؤمنون للحفل الإفخارستي» (٦٤). «فالتناوب بين العمل والراحة هو في صلب الطبيعة البشرية، ويعكس الارادة الإلهية، كما يظهر ذلك في رواية الخلق في سفر التكوين» (تك ٢:٢-٣ ؛ خر ٢٠:٨-١١) (٦٥).

ويذكُر يوحنا بولس الثاني سلفه لاون الثالث عشر الذي كتب في رسالته العامة «الشؤون الحديثة» (١٨٩١:٥:١٥) أن راحة الأحد حقٌّ من حقوق العامل على الدولة أن تَكفَله، «مع ما يرافق ذلك من مستلزمات دينية وعيلية وثقافية وعلاقية» (٦٦). «فالأمور الماديّة التي ننهمك فيها تفسح المجال لقيم الروح؛ والأشخاص الذين نعايشهم يستعيدون وجههم الحقيقي، في لقاءات وحوارات هادئة» (٦٧). ويضيف قداسته طالباً أن تتيح الراحةُ «إمكان التفرّغ للتأمّل والشركة الأخويّة». وإن راحة الآحاد والأعياد تؤكّد «أولويّة وكرامة الانسان الذي يتخطّى ضرورات الحياة الاجتماعية والاقتصادية» (٦٨).

إنّ يوم الرب هو «يوم التضامن». فـ«يجب أن يتيح الأحدُ للمؤمنين أيضاً فرحةَ التفرّغ لأعمال الرحمة والمحبة والرسالة»، لأنّ «افخارستيا الأحد لا تصرف المؤمنين عن واجباتهم في ممارسة المحبة» (٦٩). وتدعم هذا التفكير شهادةُ حياة الجماعة المسيحية الأولى، حيث كان اجتماع المسيحيين يوم الأحد «مناسبة للتقاسم الأخوي مع الفقراء» (٧٠)، وبقول الملك في خطبة النهايات: «ما صنعتموه لأصغر إخوتي، فبي صنعتموه» (٧١). فالإفخارستيا «سانحة أخوّة ونداء الى عيش الأخوّة» (٧٢). وهكذا «تصبح إفخارستيا الأحد، بل الأحد كلّه، مدرسة كبيرة تعلّمنا المحبّة والعدالة والسلام»، فـ«يصبح المؤمن بدوره صانع سلام» (٧٣).

فيوم الرب، يوم المسيح، يوم الكنيسة، يوم الانسان، هو يوم الأيام.

الفصل الخامس: يوم الأيام - الأحد عيد قمّة فيه يتجلّى معنى الزمن

يبدأ البابا هذا الفصل بالتذكير بما كتبه في «إطلالة الألف الثالث» (١٩٩٤/١١/١٠) حيث يقول: «في يسوع المسيح، الكلمة المتجسّد، يصبح الزمان بُعداً من أبعاد الله الأزلي في ذاته» (٧٤). فـ«الأحد ينبع من القيامة ويخترق زمن الانسان». و«هو استباق لليوم الأخير»، وهذا «لكي تظلّ أزمنة الانسان مدعومة بالرجاء» (٧٥)، بفضل «سرّ المسيح الذي مات وقام» (٧٦).

الخاتمة

إن حلول الألف الثالث يدعو المؤمنين الى استعادة معنى الأحد «ومغزاه بالنسبة الى الوجود المسيحيّ والبشري» (٣). «في عتبة الألف الثالث، يبقى الاحتفال بالأحد المسيحي عنصراً حاسماً من عناصر الهوية المسيحيّة» (٣٠). فالأحد يحمل «ثروة روحية ورعائية عظيمة حقاً، إذ تنعكس الافخارستيا «في التآم كلّ الجماعة نهار الأحد»، فتنبجس منها النعمة التي «تجدّد الناس والحياة والتاريخ» (٨١).

يبقى «الأحد مدرسة حقيقية ونهجاً دائماً في التربية الكنسيّة» (٨٣). «إنّه يوم صلاة ومشاركة وفرح ينعكس على المجتمع ويشعّ عليه طاقات حياة وحوافز رجاء» (٨٤).

وحسب عادته، يتوّج يوحنا بولس الثاني رسالته «يوم الرب» بذكر مريم متسائلاً: «كيف يمكنها هي أم الربّ وأمّ الكنيسة ألا تكون معنا، بصفة مميّزة، في اليوم الذي هو، معاً، يوم الرب ويوم الكنيسة ؟» (٨٦).

ويختم رسالته متمنّياً «لرجال ونساء الألف الثالث أن يلتقوا بالمسيح» في «الكنيسة (التي) تحتفل في الفرح، كل أحد، بالسرّ الذي تستقي منه حياتها كلّها» (٨٧).

مؤسس جريدة بيبليا

الأب لويس خليفة دائماً في البال!

الذكرى السنوية الرابعة لغيابه

بالخير والمحبة، والترحم، والصلاة، نتذكر الأب لويس خليفة، مؤسس "جريدة بيبليا" التي تحولت إلى "مجلة بيبليا".

قبل أربع سنوات، غاب عنا الأب لويس، وبقي مشروعه البيبلي نامياً، مطّرداً ومتألّقاً، كما شاءه، مع رفاق الدرب الأوفياء.

لو عاد الأب لويس إلينا من عالم الخلود، ماذا يقول عن "مجلة بيبليا"، التي شاءها "جريدة"، وشئناها "مجلة"، نحن الذين منذ البدء كنا معه، أي على عكس ما كان يرغب؟!

أنا واثق من أنه، بالروح "الرياضية" التي تميَّز بها، روح الحرية التي كانت زينته، إلى حدّ أنها كانت تسمح له بالتكيّف مع الجديد المَرضِيّ والمقنع،

ولأنه أحبَّ الناس حبّاً جماً، وعمل من أجلهم، وفي سبيل حريتهم الإنسانية والروحية والأدبية،

ولأن الرغبة كانت عارمة لدى قرّاء "بيبليا" بأن تأخذ هذه الأخيرة حجماً أصغر،

سيفرح الأب لويس بالحلة الجديدة لـ"بيبليا"، وبما صارت عليه، وبأمانة رفاق الدرب الأوفياء الذين يواصلون العمل مجاناً، لوجه الله، وخدمة للبشرى السعيدة!

فإلى روحه الطاهرة، نرفع عاطفة روحية، هي صلاة، وعرفان بالجميل، والتزام بالمواصلة، لتدوي كلمةُ الحياة في مختلف الأرجاء وفي كل زمان، كما كان الأب لويس يتمنى أبداً !

الأب أيوب شهوان

رئيس التحرير

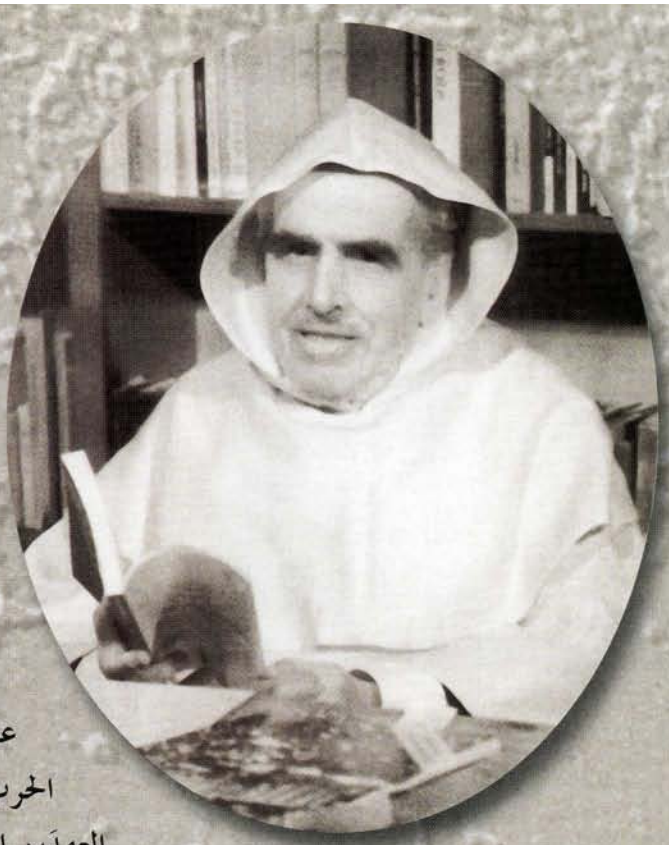

وفاة
فرنسوا پول درايفوس

وُلد درايفوس في ميلوز (فرنسا)، في ٩ آب ١٩١٨، من عائلة يهوديّة، وذلك قبل توقيع السلام بين ألمانيا وفرنسا في نهاية الحرب العالميّة الأولى. اكتشف الكتاب المقدس وهو في سن المراهقة، فقرأ العهدَين القديم والجديد، وتأثر كثيراً بخلقية الأناجيل الأربعة التي بدت له كخاتمة لما رُسم رسمة سريعة في العهد القديم.

دخل الحرب العالميّة الثانية، ووقع أسيراً في يد الألمان، مع رئيس فرقته الذي كان راهباً دومينيكيّاً. فأخذ منه البيبليا، وقرأ أكثر من مرّة الفصول العزيزة على قلبه، مثل لا ١٩ ("كونوا قدّيسين")؛ مت ٥-٧ (عظة الجبل). لم يُقتَل فرنسوا كما قُتل عدد من بني ملّته، فرأى في نجاته علامة من السماء. حينئذٍ تلقّن التعليم المسيحي، واعتمد في السجن سنة ١٩٤١. وظلّ فرنسوا أسيراً حتى ١٩٤٥ مع أشخاص مثل الأب إيف كونغار الذي علّمه العبريّة، فأهداه أحد كتبه : "إلى الأب پول درايفوس، رفيقي وأخي وتلميذي ومعلّمي".

التحق پول درايفوس بالرهبنة الدومينيكيّة، واتّخذ اسم بولس. وانتهت دراسته بمطالعة حول "بقية اسرائيل في العهد القديم". بعد ذلك، ذهب الى القدس، الى المدرسة البيبليّة. وسنة ١٩٥٧، حاز على الدكتورا، وكانت أطروحته تحت عنوان: "موضوع الميراث في العهد القديم". وخلال عشر سنوات، علّم الطلابَ الدومينيكان العهدَ الجديد في سوشوار قرب باريس.

بعد ذلك عاد الى أورشليم، واهتمّ بتحقيق الكتب في "المجلّة البيبليّة". وتوقّف في تعليمه بشكل خاص عند الأنبياء، فدرس المواضيع الكبرى، مثل : شعب اللّه، العودة الى الرب، العزاء، بقية اسرائيل. وفي النهاية، عالج موضوعين هامين : طبيعة الخلاص في العهدين، تأوين الكتاب المقدس في البيبليا نفسها وفي التقليد المسيحي. نذكر كتابه : هل عرف يسوع أنّه اللّه؟ (باريس، ١٩٨٤)؛ "بقية اسرائيل"، في قاموس البيبليا-الملحق، الجزء العاشر (باريس، ١٩٨٥) عمود ٣٢١-٣٥١.

توفّي فرنسوا پول درايفوس في ١٨ كانون الأول ١٩٩٩، في بيت شقيقته، في فرنسا.

الخوري بولس الفغالي
و
الأب أيوب شهوان

FRANÇOIS-PAUL DREYFUS, O.P.

Ouvrages

1. *Jésus savait-il qu'il était Dieu ?*
Paris: Cerf, 1984.
= *Gesú Sepeva d'Essere Dio ?* Torino: Paoline, 1985.
= *Sabia Jesus Que Era Dios ?*Coyoacán: Universidad Iberoamericana, 1987.
=*Jesus Sabia que Era Deus ?* São Paulo: Loyola, 1987.
= *Did Jesus Know He Was God ?*Chicago: Franciscan Herald Press, 1989.

Articles

2. "La doctrine du reste d'Israël chez le prophète Isaïe"
RSPT 39 (1955) 361-386.
3. "La primauté de Pierre à la lumiere de l'Ancien Testament"
Istania 2 (1955) 335-346.
4. "Le thème de l'héritage dans l'Ancien Testament"
RSPT 42 (1958) 3-49.
5. "L'argument scriptuare de Jésus en faveur de la résurrection des morts (Marc , XII , 26-27)"
RB 66 (1959) 213-224.
6. "Maintenant la foi, l'espérance et la charité demeurent toutes les trois (I Cor 13,13)" (Analecta Biblica, 17).
Studiorum Paulinorum Congressus Internationalis Catholicus, 1961, 403-412. Romae: Pontificio Instituto Biblico,1963.
7. "L'inspiration de la Septante. Quelques difficultés à surmonter"
RSPT 49 (1965) 210-220.
8. "L'Évangile (Lc 10,23-37) 'Qui est mon prochain?' "
Assemblées du Seigneur 66 (1965) 32-49.
9. "La valeur existentielle de l'Ancien Testament"
Concilium 30 (1965) 35-43.
10. "Exégèse en Sorbonne, exégèse en Eglise"
RB 83 (1976) 321-359.
11. "L'actualisation à l'intérieur de la Bible"
RB 83 (1976) 161-202.
12. "Le passé et le présent d'Israël (Rom. 9, 1-5;11,1-24)"
Die Israelfrage nach Röm, 9-11, (Monographische Reihe von "Benedictina", 3). Rom, Abtei St Paul vor den Mauern,(1977) 131-192.
13. "L'actualisation de l'Écriture. I. Du texte à la vie; II. L'action de l'Esprit; III. La place de la tradition "
RB 86 (1979): Part I: 5-58; Part II: 161-193. Part III: 321
14. "Pour la louange de sa gloire (Ep 1,12.14). L'origine vétéro-testamentaire de la formule "
Paul de Tarse, Apôtre de notre temps , ed. by Lorenzo De Lorenzi, 233-248 (Série monographique de "Benedictina"; Section paulinienne,1). Rome: Abbaye de S. Paul h.l.m., 1979.
15." L'Araméen voulait tuer mon père": L'actualisation de Dt 26,4 dans la tradition juive et la tradition chrétienne"
De la Tôrah au Messie; Melages Henri Cazelles , ed. by Maurice Carrez, Joseph Doré and Pierre Grelot, Paris: Desclée, (1981) 147-161.
16. "'The Scales are even' (Tanhuman, Ki Tissa, 34)" [in hebrew].
Tarbiz 52 (1982) 139-142.
17. "La condescendance divine (*synkatabasis*) comme principe herméneutique de l'Ancien Testament dans la tradtion juive et dans la tradition chrétienne."
(Supplements to Vetus Testamentum, 36). *Congress Volume Salamanca, 1983*, (1985): 96-107.
=" Divine Condescendence (*Synkatabasis*) as a Hermeneutic Principle of the Old Testament in Jewish and Christian Tradition "
Immanuel 19 (1984) 74-86.
17. " Reste d'Israël",
In *Dictionnaire de la Bible. Supplément X*. Paris: Letouzey & Ané, 1985, col. 321-351.

وفاة الأب ريمون جاك تورناي

وصل الأب تورناي، سنة ١٩٣٨، الى أورشليم حيث أقام إحدى وستين سنة، فشارك بشكل خاص في تحرير "المجلّة البيبليّة" (Revue biblique) وتسلم إدارتها من سنة ١٩٦٨ حتى سنة ١٩٩٤. سنة ١٩٧٢، تسلم إدارة المدرسة البيبليّة في أورشليم (Ecole biblique de Jérusalem) واستمرّ في هذا المنصب حتى سنة ١٩٨١.

أبحاث الأب تورناي معروفة : كان الأخصّائي الأوّل في اللّغة الفرنسيّة للمزامير وفي الشعر العبراني. شارك في ترجمة المزامير في إطار بيبليا أورشليم (La Bible de Jérusalem). شارك في أكثر من تأليف عن نشيد الأناشيد، كما قدّم شروحاً حول المحيط الأصلي للمزامير. حاضر في تفسير الأنبياء، فأبرز دور القراءة العلميّة والتأوين.

درس الأب تورناي الصفات البيبليّة، كما درس بشكل خاص الأكاديّة، فقدم ترجمة ملحمة غلغامش بمشاركة هارون شافر الى اللّغة الفرنسيّة (باريس ١٩٩٤ ثم ١٩٩٨).

ونشير الى النشاط الآخر للاب تورناي، غير النشاط العلمي : هو نشاطه الرسولي الذي جعله يلاحق المحيط البشري الذي يعيش فيه. فعمل من أجل قضيّة السلام، واهتمّ بالفقراء والأسرى، في شرق عرف الحروب الطويلة، خصوصاً في القرن العشرين.

توفي ريمون جاك تورناي عن عمر يناهز الـ٨٧ سنة، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٩٩، في دير القديس اسطفانس، في أورشليم، وسط إخوته الدومينيكان، والأساتذة والطلاب.